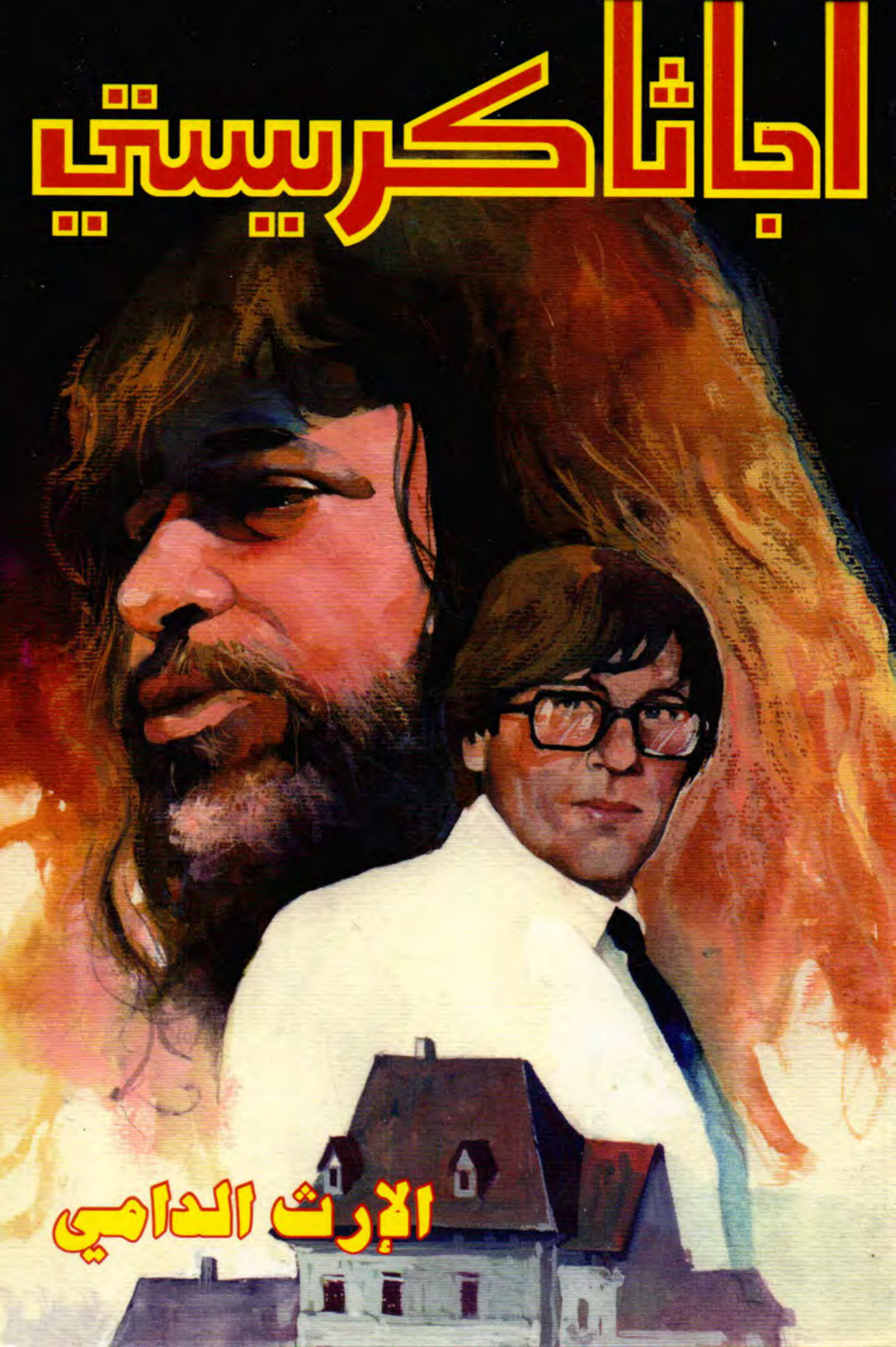

اجاثا كريستي
الإرث الدامي



أجاثا كريستي

☐ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

☐ بيع من كتبها أكثر من 650 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

☐ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنُها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنَّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

لبنان 3000 ل. ل.	قطر 10 ريالات
سوريا 100 ل. س.	مسقط 1,5 ريال
الأردن 1,5 دينار	مصر 10 جنيه
السعودية 10 ريالات	المغرب 30 درهما
الكويت 1 دينار	ليبيا 5 دنانير
الإمارات 10 دراهم	تونس 4 دنانير
البحرين 1,5 دينار	اليمن 400 ريال


ISBN 9953-38-184-4
9 789953 381848

الإرث الدامي

برنـارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

الإرث الدامي

(5)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

المركز الدولي

للصحافة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 00961 9 212 666 فاكس 00961 9 212 665

البريد الإلكتروني info@darmusic.net

www.darmusic.net

قام بعون الله الأستاذ / **علي فرحات علي**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

كان "**ديك مارتن**"المفتش المساعد بإدارة "**اسكتلنديارد**" في طريقه إلى أحد مقاهي حي "**سوهو**" بـ"**لندن**" .. وكان وجهه القوي الجميل ينم عن شيء لاهو بالرضا ولا بالحزن .

فقد كان يعلم أن ذلك اليوم هو اليوم قبل الأخير لتركه الخدمة بإدارة البوليس وكان يعلم أنه في طريقه إلى تنفيذ آخر مهمة ألقيت على عاتقه كمفتش مساعد في أكبر هيئة بوليسية عالمية .

وكان "**ديك مارتن**" يبتسم في إشفاق وسخرية وهو يتذكر هذه المهمة ، إنه ذاهب لإحضار اللص "**ليوفيني**" ليستجوب أمام رئيسه المفتش "**سنيد**" ..

فيالها من مهمة تافهة يختتم بها أكثر من عشر سنوات في مطاردة المجرمين ! أما سبب استقالته فهو حصوله على ميراث كبير يبلغ نيفا ومليون ريال ، آل إليه عن عم له من كبار المزارعين في أمريكا ، ولقد رأى "**ديك**" أن وجوده في إدارة البوليس – رغم هذا الثراء العريض – سيحرم بعض زملائه الفقراء من الترقية التي يستحقونها .. هكذا أقنع نفسه ..

وكان ينوي – بعد استقالته – أن يطوف بـ"**أوروبا**" و"**آسيا**" ليمضي بضعة أشهر ، ثم يعود ليؤلف كتابا في " نفسية المجرمين " .

وأخيرا بلغ المقهى في حي " **سوهو**" حيث وجد اللص "**ليوفيني**"جالسا يتناول عشاءه في هدوء ، فلما مضى إليه وجلس بجانبه ، رفع "**ليو**" وجهه الناحل الشاحب وقال :

– أظنك جئت تطلبني يا سيد "**مارتن**" بسبب حادثة بنك "**مالبرو**" .

فلما أومأ "**ديك**" برأسه ، استطرد "**ليو**" في حماسه :

إنك تعرف تماما أنني لم أشترك في هذه الحادثة يا سيد "**مارتن**" ... فهذا

النوع من السرقة لايناسبني ..

إنني لم أتعود على نسف الخزائن بالديناميت ، ولماذا أنسفها مادمت لا أعجز عن فتح أية خزانة أو باب .. أو قفل ...

وأمسك "**ليوفيني**" عن الحديث فجأة وبدت في عينيه ظلال من خوف ورعب، بينما قال "**ديك** " باسما :

– نعم .. إنني شخصيا أعرف هذه الحقيقة عنك ... إنك فنان في فتح الأقفال لا شك في هذا .. ولكن المفتش "**سنيد**" يريد أن يلقي عليك بعض الأسئلة .

فعاد "**ليو**" إلى حماسته وقال :

– لماذا ..؟ إن هناك عشرات من الأشخاص يشهدون أنني كنت في غرفتي بفندق "**شيشستر آرمز**" منذ التاسعة مساء ..

– وقبل التاسعة ..؟!

فتردد "**ليو**" برهة ، ثم قرر أن يكون صريحا فقال :

– كنت أقوم بعمل خاص لحساب شخص معين .. كان عملا غير شريف كما بدا لي وكان .. يا إلهي .. رهيبا .. ! ولكنني حصلت على مائة وخمسين جنيها تحت الحساب . تصور .. ؟!

فبدا الابتسام في عيني "**ديك**" وهو يقول :

– لماذا .. ؟! هل طلب منك أن تفتح خزانة مصرف معين ..؟!

فبدا التردد مرة أخرى على وجه " **ليو**" وهو يقول :

– لا .. بل طلب مني .. يا إلهي .. أن أفتح أقفالا رهيبة .. أقفالا لم أر مثلها في حياتي قط ..ويكفي أن أقول إنني أدركت عجزي عن فتحها عندما نظرت إليها أول مرة .

ثم ارتعدت يد اللص وهو يرفع كأسه إلى شفتيه ، وقال :

– ومهما يكن من أمر ، فإنني لن أعود إلى هذا المكان الرهيب مع ذلك الرجل الفظيع الذي أراد مني فتح الأقفال ، ولو أعطاني ذهب العالم كله ..

وحاول "**ديك**" أن يعرف منه أكثر من ذلك ، ولكنه لم يستطع ، فقد لزم اللص الصمت واعدا بأنه قد يسرد عليه التفاصيل في فرصة أخرى .. ثم أكد وعده عندما علم أن "**ديك**" ينوي ترك الخدمة بعد يوم ..

وبعد أن حجز اللص بضع ساعات للاستجواب ، أطلق سراحه حيث شهد بعض النزلاء أنه كان مستغرقا في الشراب في حانة الفندق في الساعة الحادية عشرة ، أي في نفس الوقت الذي وقعت فيه حادثة مصرف " **مالبرو**" .

- 2 -

قال المفتش "**سنيد**" في لهجة ساخرة :

– إذن فأنت تنوي يا سيد "**مارتن**" أن تقضي أيامك كأحد الشبان الوارثين المتعطلين الذين يقضون أيام حياتهم في النوم والأكل واللهو ..؟! يا للأسف..! حقا إن المال مفسدة للرجال ..

فابتسم "**ديك**" وقال :

– مهما يكن من شيء فإنني سأكون أكثر نشاطا منك أيها الرئيس البدين الذي ضرب الرقم القياسي في الكسل .. فتكلف "**سنيد**"الجد والوقار وقال :

– لاتنس يا "**ديك**" أنك اليوم مرؤوس وخاضع لأوامري ، وإن كنت ستمسي فردا مدنيا عاديا ، فعليك أن تذكر واجب المرؤوس نحو رئيسه .. والآن ، أريد منك أن تمضي إلى مكتبة بـ"**يللنجهام**" حيث وردت إلينا شكوى من سرقة أحد الزوار لبعض الكتب ..

فلما دمدم "**ديك**" ممتعضا ، قال "**سنيد**" :

– نعم .. إنني أعرف أن هذا عمل تافه ، ولكن يجب أن تعرف وتذكر دائما ما يعانيه زملاؤك من حماقة بعض الناس بينما تعيش أنت خاملا متعطلا كسولا على حساب هذا المال الذي جاهد أحد أقاربك في جمعه.. وبينما كان "**ديك**" خارجا من غرفة رئيسه وسائرا في الممر ، كان للمرة الألف يتساءل فيما بينه وبين نفسه .. هل أحسن عملا بالاستقالة أم أساء ..؟ ذلك أنه كان من أشهر رجال الإدارة .، وكان أكثرهم توفيقا في القبض على المجرمين لاسيما طبقة المحتالين واللصوص حتى قال – عفواً – أحد رؤسائه الكبار ذات مرة إن له عقلية لص وذكاءه .. وإن "**ديك**" ليبتسم وهو يذكر كلمة ذلك الرئيس ، ثم وهو يذكر أيام صباه التي قضاها في "**كندا**" حيث كان أبوه مديرا لأحد سجونها...

كان "**ديك**" في ذلك الوقت يقضي أيامه في ساحة السجن ، لقد كان لطيفا مع السجناء فأحبوه وعلمه بعضهم وسائل الاحتيال في لعب الورق وطرق النشل وعلمه بعض آخر طريقة فتح جميع الأقفال بأبسط الأدوات .. ولولا أن طبيعة "**ديك**" كانت تميل نحو الخير ، لكان من المحتمل جدا أن تنحرف به هذه المعلومات إلى طريق الجريمة .

ولما تطوع في الجيش واستوطن "**انجلترا**" بعد وفاة والده ، التحق بإدارة "**اسكتلنديارد**" وصار واحدا من أشهر رجالها .

والتقى "**ديك**" على سلم الإدارة وهو في طريقه إلى الخارج بالمفتش الثالث "**ديك**" الذي أسرع نحوه يعتب عليه قائلا :

– أتنوي أن تترك الخدمة حقا يا "**ديك**" ..؟ إن هذه خسارة لاتعوض .. ولكني لا أظنك ستنشئ مكتبا للمخابرات السرية ... إذا كان الأمريكيون يستسيغون مثل هذه المكاتب ، فإننا هنا – في "**انجلترا**" – نعتبرها أداة لتزويد

راغبي الطلاق بالأدلة والمستندات المبررة دعواهم فحذار .. فابتسم "**ديك**" وقال:

– الواقع أنني لم أفكر في هذا الأمر .. ولكن .. من يدري ؟!

وعندئذ ضرب المفتش "**ديك**" جبينه بيده وقال :

– عجبا .. كيف فاتني هذا الأمر .. لقد طلب مني أمس صديقي المحامي "**هافلوك**" مخبرا سريا خاصا ليؤدي له خدمة نظير مكافأة كبيرة ، ولقد وعدته بأن أرسل إليه أحد المخبرين دون أن أحدد له شخصا معينا .. فما رأيك يا "**ديك**" .. ألا تقوم لي بهذه الخدمة ؟! إن "**هافلوك**" صديقي الحميم وهو رجل كفء ، يتولى الإشراف على ممتلكات كثيرة .

– حسنا .. سأفكر في هذا الأمر ..

–لا .. لا .. أرجوك .. حاول أن تذهب إليه .. فربما يرضيك هذا العمل الذي يريد أن يعهد به إلى أحد المخبرين .. حاول من أجلي .. إن مكتبه في حي "**لنكولن انفيلد**" ويمكنك أن تعرف عنوانه تماما من دليل التليفونات .

ولما كان "**ديك**" يحمل للمفتش أجمل الذكريات فقد وافق على تحقيق رجائه، ومن ثم قال المفتش شاكرا :

– إذن سأتصل بـ "**هافلوك**" تليفونيا وأخبره أنك ستزوره بعد غروب هذا اليوم.

- 3 -

كانت مكتبة بـ"**يللنجهام**" خاصة بالكتب العلمية الثمينة والآداب العالية ، ولذلك كان أغلب المشتركين فيها والمترددين عليها من رجال العلم والأدب ، وكان في وصية منشئها بند يحتم استخدام فتاتين ويستحسن أن تكونا فقيرتين

لأعمال السكرتارية . قدم "**ديك مارتن**" نفسه إلى إحدى هاتين الفتاتين دون أن ينظر إلى وجهها قائلا :

– إنني من "**اسكتلنديارد**" .. جئت بخصوص السرقة التي أبلغتم عنها .

فقالت الفتاة وهي تقلب بعض الأوراق :

– لقد سرق منا في الحقيقة كتاب واحد .. كتاب من كتب التشريح القديمة.

– متى .. ؟!

– أمس .. كان الكتاب موجودا في الساعة الثانية ، وفي الثانية والنصف لم يكن موجودا ..

– من كان في الغرفة ؟

– كانت زميلتي " **ماتيلدا**" في مكاني هنا .. وكان ثمة مشتركون معروفون.. وواحد فقط غير مشترك .. إنه دكتور "**ستالليتي**" ، لا شك أنك تذكر اسمه .. فقال "**ديك**" في شيء من الضيق ؟

– ولماذا أذكر اسمه يا فتاتي الطيبة ؟

فقالت الفتاة :

– ولماذا لاتذكر أيهاالرجل الطيب ؟!

ولأول مرة تأمل "**ديك**" وجه الفتاة ، فوجئ عندما رآها أجمل بكثير من أية فتاة عادية من فتيات المكتبات .. كانت ذات شعر ذهبي قاتم ، وبشرة ناعمة وشفتين في لون الكريز وعينين خضراوين ترقصان في تلك اللحظة بابتسام ساخر.. فقال "**ديك**" .

– إنني آسف . الحقيقة أنني غير مهتم قط بهذه السرقة .. إنني سأترك خدمة البوليس غدا .

– لاشك أن اللصوص والمجرمين سيجعلون من ذلك اليوم عيدا سعيدا !!

ودهش "**ديك**" من قدرة الفتاة على السخرية اللطيفة ، فتناول مقعدا وجلس قريبا منها وقال :

– حسنا .. إنني أكرر أسفي .. والآن .. من يكون هذا الدكتور "**ستالليتي**" ؟

– كيف لاتعرفه وأنت أحد رجال الأمن .. إن زميلتي تقول إنه ذلك الطبيب الذي اتهم مرة بتشريح الحيوانات الحية وحكم عليه بالسجن .. لقد عرفته لأنها رأت صورته أيام المحاكمة ..

ثم مدت يدها وتناولت كتابا صغيرا وقالت مستطردة :

– وهو مؤلف هذا الكتاب "الطرق الحديثة في بناء الأجسام البشرية" ولما كان الكتاب الضائع يتناول علم التشريح القديم ، فقد خطر لنا أن سارق الكتاب هو نفسه دكتور "**ستالليتي**" هذا .

فبدا شيء من الاهتمام في عيني "**ديك**" وهو يقول :

– أقرأت كتاب هذا الرجل عن الأجسام البشرية .. ماذا يقول فيه ؟

– إن رأيه في تربية الأجسام هو أن تترك الحكومات الناس يعيشون على الفطرة الأولى ، بغير ثياب أو تعليم أو ترفيه .. يعيشون في الغابات ، ويأكلون على سجيتهم وبذلك تقوى أجسامهم وتتغلب على جميع الأمراض..

ثم ابتسمت فجأة وقالت :

– والآن .. إن مسألة هذا الكتاب لاتهم ، ولكن المهم هو أن تذكر لي بعض مغامراتك في مطاردة المجرمين والقبض عليهم .

فنهض "**ديك**" بقامته الطويلة وقال :

– إنني حتى الآن لم أجرؤ على سؤالك عن اسمك .. إنني أرجو المعذرة ، هل تسمحين بذكر عنوان "**ستالليتي**" هذا لي .. ؟

ففتحت الفتاة سجلا أمامها وقالت :

– إنه يقيم في مقاطعة "**سكس**" بناحية " **جاللوز**" . .

فحياها "**ديك**" وانصرف وهو ساخط على نفسه لأنه لم يجد الشجاعة الكافية ليسألها مرة أخرى عن اسمها ، أما هي ، وتدعى "**سيبيل لانسدون**" ، فقد مضت إلى النافذة وراحت تشيع الشاب وهو يغيب عن عينيها بنظرات فيها ابتسام وفيها شيء كبير من الآمال والأحلام .

- 4 -

وبلغ "**ديك مارتن**" مقاطعة "**سكس**" في سيارته الخاصة ، وعند ناحية "**جاللوز**" . . وقفت السيارة وهبط منها واتجه إلى بيت "**ستالليتي**" حيث وجد البيت عتيقا في مظهره تحيط به حديقة مهملة بها أشجار كبيرة ملتفة الغصون كأنها وجدت منذ أن خلقت الأرض . . وكان ثمة ممر محفوف بأعشاب طويلة وشجيرات ذابلة الأوراق يؤدي إلى باب البيت . . الذي طرقه "**ديك**" حيث لم يجد زرا لجرس كهربائي . . وظل يطرق الباب بضع دقائق حتى سمع وقع أقدام تقترب فلما فتح الباب لم يملك "**ديك**" نفسه من الدهشة البالغة حين رأى "**ستالليتي**" نفسه . . كان رجلا قصيرا نحيلا ملوح الوجه مغضن البشرة كأنه تفاحة ذابلة صلبة القشرة وكانت لحيته السوداء تكاد تخفي صدره كله ، وكانت عيناه تشعان بالمكر والدهاء وهو يتأمل "**ديك**" ويقول :

– حسنا يا سيدي . . ماذا تريد . . ؟

فلما أبرز "**ديك**" بطاقته ، استطرد الرجل :

– وماذا حدث ياسيدي ؟ إنك لن تجد في معملي سوى فأر ميت ، وما أظن أنكم ستحاكمونني بتهمة قتل فأر ؟

وقبل أن يجيب "**ديك**" بشيء لمح وراء الرجل شابا جميل الوجه ، أنيق الثياب إلى حد كبير . وقبل أن يختفي الشاب هتف "**ديك**" به :

– هاللو "**تومي كاولر**" .. ماذا جاء بك هنا ؟ !

فتقدم " **تومي**" وقال بوجه متجهم :

– إنني صديق الدكتور "**ستالليتي**" .

– ولكنك تبدو أنيقا ثريا .. ماذا حدث ؟ سيارة أخرى ؟

فازداد "**تومي**" تجهما وقال :

– إنني الآن رجل محترم أعمل سائقا لسيارة السيد "**كودي**" .. وإنه يحسن معاملتي ويسخو في مكافأتي .. ولما حاول أن يغادر البيت قال "**ديك**" له :

– إنني أريد أن أتحدث معك يا "**تومي**" .. انتظرني حتى أنتهي من حديثي مع دكتور "**ستالليتي**" .

وبعد أن شرح "**ديك**" للرجل الكهل المهمة التي جاء من أجلها ، ضحك الرجل وقال :

– آه ، عجبا .. إنني حقا قد أخذت هذا الكتاب أليست هذه مكتبة عامة يحق لكل إنسان أن يستعير منها ما يشاء ؟ ! ومع ذلك فلماذا كل هذه الضجة؟ ها هو ذا الكتاب .. إنه كتاب تافه لايستحق القراءة ..

فتناول "**ديك**" الكتاب وألقى على الدكتور الإيطالي درسا في الطرق القانونية لاستعارة الكتب من المكتبات العامة .

ولما انتهى حياه وانصرف إلى حيث وجد " **تومي كاولر**" واقفا بجانب سيارته في انتظاره فقال له :

– والآن يا "**كاولر**" .. هل حقا ما تقول إنك تعيش عيشة شريفة ..؟!

– نعم .. أؤكد لك .. لقد قطعت صلتي تماما بحياتي الأولى ..

ففكر "**ديك**" برهة .. لقد كان "**تومي كاولر**" إخصائيا في سرقة السيارات .. ولقدأدين أكثر من ست عشرة مرة في هذا اللون من السرقة .. فهل يعقل أن يتوب من كان مثله ..؟ من يدري ؟

وكأنما خشي "**كاولر**" أن يرتاب " **ديك**" في أقواله ، ومن ثم استطرد :

– إذا كنت لاتصدقني فإنني أذكر لك عنوان السيد الذي أعمل عنده ، إنه السيد "**برترام كودي**" .. وهو يعيش على بعد ميل واحد من هذا المكان ..

– وهل يعرف شيئا عن ماضيك ؟

– نعم، لقد صارحته بكل شيء .. ويكفي أن أقول إنه أراد أن يصلح من شأني فهيأ لي فرصة أخيرة للعمل الشريف بشروط كريمة وأجر سخي ..

– حسنا جدا ... وأين يقيم سيدك هذا ؟ ما عنوانه ؟

فتناول "توم" مفكرته وقال :

– السيد "**برترام كودي**" منزل " **ويلد**" بمقاطعة "**سكس**" الناحية الجنوبية ..

فسجل "**ديك**" العنوان في مفكرته ، وبعد نصف الساعة كان في مكتبة بـ"**يللنجهام**" يعيد الكتاب المفقود ، ولكنه – لخيبة أمله – وصل بعد انصراف الفتاة التي أثارت اهتمامه وإعجابه .

ولما غادر المكتبة ، وجد أن الوقت لايسمح له بزيارة السيد "**هافلوك**"المحامي في حي "**لنكولن أنيفلد**" ، ومن ثم ولى وجهه شطر بيته ، وإذا به يسمع صوت "**ليوفيني**" يناديه والتفت "**ديك**" إلى اللص فإذا به – لدهشته – يراه شديد الشحوب ، مضطربا من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، ولايكاد يسيطر على صوته .. فقال له في دهشة :

– هه .. ماذا جرى يا "**ليو**" ؟ يخيل لي أنك هارب من شبح ..

فقال الرجل في صوت متلعثم :

– نعم .. صدقت .. إنك لم تتجاوز الحقيقة في تخيلك .. إنني أشعر أن شبحا يطاردني ليقتلني .. أرجوك .. هل .. هل . هل تسمح لي بالمضي معك قليلا . ؟ إنني . إنني كما ترى .. شديد الاضطراب ..

– وماذا أستطيع أن أعمل من أجلك مادمت لاتصارحني فتردد الرجل برهة ثم قال :

– هل تذكر حديثي لك عن هذه الأقفال الشديدة العنيدة التي عجزت عن فتحها ؟! آه .. الواقع أنني لم أحاول أن أفتحها .. لا . لم أعالج فتحها .. ذلك لأنني رأيت الرجل الفظيع الذي استخدمني لأفتحها واقفا ورائي وقد وضع يده في جيبه ، وكان جيبه منبعجا مما يدل على وجود مسدس فيه .. ولقد خطر لي فجأة أنني إذا نجحت في فتح الأقفال ، فإن مصيري الموت حتما ، ولذلك تحايلت على الرجل وادعيت أنني فى حاجة إلى بعض الهواء الطلق وما كدت أخرج من المكان الرهيب حتى أطلقت ساقي للريح .

وكان "**ديك**" قد بلغ باب البيت ، فدخل إليه ، ودخل "**ليو**" معه بغير دعوة منه وعندئذ قال له :

– وأين هذه الأقفال ..؟ في أي مكان توجد .. ؟

– إنها أقفال مقبرة من أفظع المقابر ..

- 5 -

وساد الصمت برهة بين الرجلين حتى دخلا مسكن "**ديك**" الخاص وهنا قال "**ديك**" :

– اجلس يا "**ليو**" .. وحاول أن تركز أفكارك لتخبرني عن كل شيء ..

فقال "**ليو**" :

– لا .. لا .. لن أستطيع أن أخبرك بكل شيء الآن ولكني سأكتب اعترافاتي عن هذا الموضوع وأضعها في ظرف مغلق وأسلمها إليك ، فإذا حدث لي مكروه، يمكنك أن تتخذ ماتراه من إجراءات .. وكل ما أرجوه هو أن أجد مكانا آمنا أكتب فيه الاعترافات قبل أن أصاب بشيء ..

وعندئذ دق جرس التليفون ، فلما تناول "**ديك**" السماعة سمع صوت رجل غريب يقول له :

– إنني السيد "**هافلوك**" .. لاشك أن المفتش "**ديك**" أخبرك بأمري . لقد انتظرتك في الموعد .. فهل يمكنك أن تحضر ؟. إن بيتي قريب جدا من مسكنك ، لا يبعد سوى بضع دقائق بالسيارة .. العنوان هو 907 شارع "**أكاسيا**" بـ"**سانت جود وود**" .. وإذا كنت لم تتناول عشاءك فإنني سأنتظرك على العشاء ... آه... إذن سنشترك معا في كأس من الشراب شكرا .. شكرا..

ووضع "**ديك**" السماعة وقال لـ"**ليو**" كأنما طرأ عليه خاطر فجائي :

– إن المسكن هادئ ، ومديرة البيت غائبة في إجازة ، وسأمضي لأغيب ساعة أو اثنتين ، فما رأيك في أن تبقى هنا ، وتكتب ما تريد .. ؟

فأسرع "**ليو**" موافقا ومن ثم أحضر له "**ديك**" الأوراق والقلم وتركه يشرع في الكتابة ومضى هو إلى منزل السيد "**هافلوك**" في سيارة أجرة .

وفي غرفة الاستقبال الأنيقة الفاخرة ذات الصور الرائعة والتحف الثمينة، وجد "**ديك**" السيد "**هافلوك**" في استقباله يرحب به .. كان رجلا بين الخمسين والستين رمادي الشعر طويلا نحيلا ، تبدو عيناه جميلتين من وراء نظارته ، هادئ الصوت بادي الذكاء

قال لـ"**ديك**" وهو يقدم له كأسا :

– إذن فأنت السيد "**ديك مارتن**" الذي طالما سمعت عنه ... إنني سعيد لهذه الفرصة التي أتاحت لي التعرف بك .

ويحسن أن أذكر لك شيئا عني .. فأنا وإن كنت محاميا إلا أنني لا أتولى الدفاع في المحاكم وإنما أكتفي بأن أكون وكيلا لبعض الشركات و أدير ممتلكات ومصالح وهيئات متعددة ومن بين هذه الممتلكات التي أديرها أملاك الأمير "**سيلفورد**" هل رأيت عزبة "**سيلفورد**" ذات مرة ..؟

فابتسم "**ديك**" وقال :

– من غريب المصادفات أنني كنت قريبا من ذلك المكان اليوم .

فتراخى المحامي برهة ، ثم قال :

– إن آل " **سيلفورد**" مشهورون بالخلل العقلي منذ أن عرفوا كأسرة كبيرة .. لقد كان الوالد الراحل رجلا شاذ التصرفات فلما توفي ، ترك ابنه في رعايتي وللأسف الشديد لم يكن للولد أي قريب يهتم به .. فقد كان أبوه وحيد أبويه، ولذلك شب ابنه – ويدعي "**بيرس**" – دون أن يكون له أعمام أو أخوال يهتمون به .. والظاهرة التي بدت في عقلية الابن هي أنه لايستقر في بلد واحد بضعة أيام .. إنه دائم الأسفار ، ولقد مضى عليه الآن نحو أربع سنوات دون أن أراه .. فغمغم "**ديك**" دهشا :

– أربع سنوات ..؟

– نعم .. أربع سنوات كاملة وهو ينتقل من بلد إلى بلد في أنحاء العالم طالبا النقود الكثيرة .. وأعتقد أن آخر فكرة سخيفة يريد تنفيذها ، هي تأليف كتاب عن ذكرياته .

فاحمر وجه "**ديك**" للعبارة الأخيرة . ولكنه تمالك نفسه بسرعة ، بينما استطرد المحامي قائلا :

– الواقع أنني شديد القلق عليه .. ولولا أن حال الممتلكات المالية أخذ في التحسن ، لازددت قلقا .. ولكن رحلاته يجب أن يكون لها حدود ، ولاسيما وقد بلغ الرابعة والعشرين ومقعده في مجلس الأعيان شاغر في انتظاره ...

– وأين هو الآن ..؟

– إنه في "**أمريكا**" .. ويزعم أنه قادر على إتمام دراسته هناك بعد أن فشل في دراسته هنا .. لقد أرسلته في صباه إلى مدرسة خاصة ، ولكنه رفض البقاء فيها أكثر من شهر ومن ثم عهدت به إلى مدرس خاص .. ومع ذلك فإنه لم يتعلم شيئا مذكورا .. وإني لأخشى أن يكون هذا النقص في التعليم سببا لانحرافه إلى ناحية الشر ، أو وقوعه في براثن جماعة من الأشرار ..

فابتسم "**ديك**" وقال :

– أو من ناحية أخرى ، وقوعه في شراك امرأة غير جديرة بمركزه ..

– تماما .. هذا ما يزيدني قلقا عليه ..

– ألا يحتمل أن ...

ثم أمسك "**ديك**" فجأة عن إتمام الحديث ، ولكن المحامي فهم ما يرمي إليه فقال :

– لا .. ليس من المحتمل أن يكون هناك من ينتحل شخصيته ويطلب المال باسمه إنني أعرف خطه في الكتابة تماما .. بل أكثر مما أعرف خطي في كتابتي ، وجميع رسائله مكتوبة بخط يده .. إنني مطمئن من هذه الناحية وكل ما أرجوه هو أن تسافر إلى أمريكا لتبدأ في ملاحقته من بلد إلى بلد حتى تعرف عنه كل شيء .. وأرجو أن يكون ذلك دون أن تثير شكوكه أو شكوك من يكون حوله إنني أريد أن أعرف مصير هذه الأموال الطائلة التي أرسلها إليه ، هل ينفقها لحسابه الخاص ، أم أن هناك من يستفيد منها بطرق غير مشروعة، إنني أعلم أنه اشترى بعض مزارع في "**استراليا** "و"**كندا**" ، وأنه اشترى بعض أسهم في

شركات كثيرة مركزها مزعزع . ولكن هذا كله لايخفف من قلقي عليه .. فما رأيك يا سيد "**مارتن**" في هذه المهمة ..؟

فقال " **مارتن** " :

– الواقع أنها مهمة تناسبني تماما . فقد كنت أزمع أن أقضي بضعة أشهر خارج "**انجلترا**" ..

ولم يملك "**ديك مارتن**" نفسه من الدهشة عندما علم قيمة المكافأة السخية التي عرضها "**هافلوك**" عليه ، فلما تمت الموافقة تناول المحامي دفتر مذكراته وقال : – اليوم الأربعاء ولسوف تبحر "**الكونارد**" في الأربعاء القادم إلي "**نيويورك**" والأمير "**بيرس سيلفورد**" في "**بوسطن**" الآن ، وأكبر ظني أنه سيكون في "**نيويورك**" عندما تصل الباخرة إليها .. ومن ثم ستستطيع أن تقتفي أثره بسهولة، فإذا لحقت به ، فأرجو أن تقنعه بالعودة إلى وطنه ليتزوج ويستقر في أملاكه .. إن قصره في الريف يوشك أن يتداعى لقلة العناية به .

فوعده "**ديك**" ببذل كل ما في وسعه ثم نهض وحياه وانصرف ، وكانت الساعة قد بلغت التاسعة مساء عندما وصل إلى مسكنه ... وهناك لم يجد أثرا لـ"**ليوفيني**" ...

ولكنه وجد الأوراق والأقلام على طرف المائدة كما تركها له .. لم يكتب "**ليو**" فيها شيئا ، . ولم يعترف بشيء ..

- 6 -

ظل "**ديك**" حتى الثانية بعد منتصف الليل في انتظار "**ليوفيني**" ... ولما لم يعد ، مضى إلى فراشه واستغرق في النوم ..

وفي العاشرة من صباح اليوم التالي وجد نفسه متجها إلى مكتبة بـ"**يللنجهام**"

رغما عنه ، وهناك استقبلته الفتاة الحسناء باسمة قائلة :

– أخبرني كيف استطعت استعادة الكتاب بهذه السرعة والسهولة ؟ !

فابتسم ونظر إلى عينيها وتلفت حوله وقد سره أن القاعة خالية إلا منها ثم قال :

– كان الأمر سهلا جدا ... أسهل مما تتخيلين .... لقد ظن الرجل الكهل أن المكتبة مفتوحة لكل إنسان يستعير منها ما يشاء بغير شرط أو قيد ...

فضحكت الفتاة وقالت :

– حقا إن لدينا رجالا على شيء كثير من السذاجة ..

– وربما لن يكون هناك من هو أشد سذاجة من رجل مثلي ... هل تتصورين أنني سأترك خدمة "**اسكتلنديارد**" وأنا في قمة الصحة ... ؟! إنني لا أدري لماذا أسرد عليك كل هذا دون أن أعرف اسمك ... ؟!

فضحكت الفتاة وقالت :

– وماذا تنوي أن تفعل بعد استقالتك .. ؟

– سأسافر إلى الخارج ... ومن حسن حظي أنني وجدت من يحتاج إلى مهمة خاصة أؤديها له في أثناء سفري ...

فقالت فجأة :

– آه ... أتكون أنت الرجل الذي وقع عليه اختيار السيد "**هافلوك**" للبحث عن قريبي "**بيرس سيلفورد**" ..

فنظر إليها دهشا وقال :

– لم أكن أعلم أنك تمتين بصلة القربى إلى أسرة "**سيلفورد**" .. ؟

فابتسمت الفتاة وقالت :

– إنني القريبة الوحيدة له ... ولست أدري صلة قرابتي الحقيقية له ، كل ما

أعرفه أن أبي كان ابن عم أبيه وأن أباه كان رجلا فظيعا . .

– وهل رأيت "**بيرس**" نفسه ؟

– رأيته وهو طفل مرة واحدة . . . وأذكر أنه كان ضعيف الجسم والعقل معا وعندئذ قطع عليهما الخلوة أمين المكتبة العام ، فلم يجد "**ديك**" مندوحة من توديع الفتاة والانصراف .

ومضى بعد ذلك إلى رئيسه المفتش "**سنيد**" وذكر له ما سمعه من "**ليوفيني**" في الليلة الماضية

فقال "**سنيد**" :

– أغلب الظن أن الرجل كاذب وإلا . . .

فقال "**ديك**" :

– إن رجلا مثل "**ليو**" لا يضطرب أو يرتعد بسهولة . . .

إن لهجته كانت تنم عن صدقه . . .

فاستدعى "**سنيد**" أحد المخبرين وقال له :

– اذهب واستدع "**ليوفيني**" من بيته ، ولكن انتظر . . .

يجب أن تذهب معه يا "**ديك**" أيضا . . أسرعا . .

فقال "**ديك**" :

– إن عملي هنا ينتهي اليوم . . .

– ينتهي في الثانية عشرة مساء . . . في منتصف الليل تماما . . وقبل هذا الوقت فأنت مازلت تحت أوامري . . .

لم يجد "**ديك**" "**ليوفيني**" في بيته وعلم من خادمته أنه غادره في الخامسة من عصر اليوم السابق دون أن يعود ، وكذا لم يجده في النادي الذي يتردد عليه، ولا في أي مكان آخر من الأمكنة التي يأوي إليها أحيانا ، ولما أفضى

"**ديك**" بتحرياته هذه إلى "**سنيد**" قال هذا الأخير :

– الآن أعتقد أن الرجل كان صادقا ..

وعاد "**ديك**" إلى بيته مساء فتناول عشاءه ، ثم مضى إلى غرفة نومه حيث خلع سترته وعلقها على المشجب واتجه إلى خزانة ثيابه ليتناول سترة الصيد القديمة التي يستعملها للكتابة . ذلك أنه كان ينوي كتابة تقرير كامل عن حديث "**ليوفيني**" الأخير ..

وما كاد يفتح خزانة الثياب حتى وجد "**ليوفيني**" يسقط بين يديه جثة هامدة ..

- 7 -

لم تكشف التحريات الأولى التي قام بها رجال "**اسكتلنديارد**" في حادثة مقتل "**ليوفيني**" عن شيء يستحق الاهتمام لقد قرر الطبيب أن الرجل قد لقي حتفه إما شنقا أو بكسر عظام العنق ... وكانت في وجه القتيل آثار رعب هائل

ولم يعرف أحد كيف وصل القاتل إليه . لقد كانت الأبواب مغلقة من الداخل والخارج عندما عاد "**ديك**" إلى مسكنه في تلك الليلة التي حدث فيها القتل ، ولكن الخادمة قالت إنها وجدت باب المطبخ مفتوحا في الصباح الباكر عندما عادت لتبدأ عملها اليومي ... وكان المطبخ متصلا بمصعد إضافي يستعمله الخدم والباعة في أثناء النهار فقط . أما في الليل فقد كان المصعد يتوقف عن العمل تماما ... ولم يجد رجال البوليس إلا ثغرة واحدة تسمح للقاتل بدخول المسكن وهذه الثغرة هي احتمال وصوله إلى باب المطبخ متسلقا حبال المصعد الحديدية ..

ولما سئل "**ديك**" عن معلوماته قال إن "**ليوفيني**" لم يصرح باسم الشخص

الذي طلب منه فتح الأقفال الغريبة ، ولم يصرح بمكان المقبرة التي توجد الأقفال بها ، كما أنه لم يصرح بشيء معين عن طبيعة ذلك الخطر الذي كان يتهدده .

وفي الصباح التالي ، وصل "**ديك**" إلى مكتب السيد "**هافلوك**" حيث استقبله هذا قائلا :

– لقد قرأت في صحف الصباح ما حدث في مسكنك وأعتقد أن وجودك ضروري في جلسة التحقيق الابتدائي ، وهذا سيؤجل سفرك أسبوعا أو أسبوعين.. وإني أرى أن ذلك لن يتعارض مع رغبتي في سفرك ، على كل حال.. إن تأخير أسبوع أو أسبوعين لن يضيرنا كثيرا .

وانتظر "**ديك**" حتى انتهى التحقيق الابتدائي ، ثم طلب أن يستدعى إلى "**انجلترا**" عن طريق السيد "**هافلوك**" إذا قبض على القاتل واحتاج المحقق إلى شهادته .

وفي الساعة الثانية عشرة من أحد أيام السبت غادر "**ديك**" "**انجلترا**" في أعنف مطاردة عرفها إنسان ، وكان شبح الموت يتابعه دون أن يعرف .

- 8 -

قضى "**ديك مارتن**" ستة أشهر كاملة متنقلا بين مدن العالم يجد في أثر "**بيرس سيلفورد**" وكان كلما هبط مدينةعلم أنه غادرها قبله بأسبوع أو بيومين وأحيانا بيوم واحد .

وكان في أثناء تحرياته عنه اقتنع تماما بأن الشاب يتنقل بمفرده ، فلم يكن معه صحبة سوء ، ولم تكن معه امرأة من أي نوع وحين بلغ مدينة "**الكاب**" .. علم أن الشاب غادرها قبله بثلاثة أيام في اتجاهه نحو الحبشة ، وقبل أن يمضي وراءه وصلته برقية من "**هافلوك**" يطلب إليه فيها العودة في أول باخرة إلى "**انجلترا**" .

وبقلب يفيض بالسرور لانتهاء هذه المهمة الشاقة غادر المدينة في سفينة سريعة كان مقررا أن تمر في طريقها بالبرتغال .

وفي خلال هذا كله فوجئ مرتين . . . المرة الأولى حين حصل على صورة لـ "**بيرس**" كان قد التقطها أحد الصحفيين يوم وصول الحاكم الجديد لـ "**جنوب إفريقيا** " . . وكان "**بيرس**" ، كما بدا في الصورة ، واقفا في شرفة الفندق يشهد موكب الاحتفال، أما المفاجأة الثانية فقد حدثت في "**ماديرا**" بالبرتغال .

كان "**ديك**" يتجول قريبا من الميناء في انتظار مواصلة رحلته ، وكان يراقب أحد المحتالين وهو يتتبعه في حذر وقد حسب أنه صيد أجنبي ثمين ، فلما اقترب المحتال منه وطلب إليه أن يشعل لفافته ، تغاضى "**ديك**" عن حافظة النقود الخالية التي وضعها طعما ليسرقها المحتال وبينما كان المحتال ينشل الحافظة الخالية ، كانت أنامل "**ديك** " أسرع من البرق في أخذ صندوق اللفائف الذهبي الذي وضعه المحتال في جيب صديريته بعد أن أشعل لفافته، وعاد "**ديك**" إلى الباخرة وهو يزن الصندوق الذهبي بين يديه باسما طروبا . . وما كاد يصل إلى السفينة حتى وقعت المفاجأة الثالثة . . ذلك أنه رأى "**سيبيل لانسدون**" بين الركاب الذين ركبوا السفينة من "**ماديرا**" في طريقهم إلى "**انجلترا**" .

ولم يستطع "**ديك**" قط أن يعلل السبب الذي جعله يخجل من الفتاة ويتهرب من لقائها رغم أن صورتها ظلت تراود خياله في أثناء تلك الأشهر الستة كلها وقبيل وصول السفينة إلي "**انجلترا**" بيوم ، التقى الاثنان وجها لوجه على ظهرها في ساعة الغروب وبينما كان "**ديك**" يحييها في خجل واضطراب ، كانت هي نموذجا للتجلد والبرود عندما قالت :

– إنني أعرف أنك في هذه السفينة منذ وصلت إليها ، ولكنني لم أشأ أن أتقدم إليك حتى لا أفسد مشروعاتك . . لقد ظننت أنك تؤدي عملا خاصا ،

فابتسم وقال :

– أما آن الآوان بعد لمعرفة اسمك .

– إذا كان اسمي يهمك إلى هذا الحد فإنني أدعى "**سيبيل لانسدون**" .

– اسم جميل جدا .. ولكنني لاأخفي عليك أنني دهشت عندما رأيتك في هذه السفنية .

– الواقع أن هذه الرحلة كانت مفاجأة غير متوقعة وربما قصصت عليك أمرها ونحن في القطار إلى "**لندن**" .. إن فيها شيئا غريبا لا أفهمه .

– حسنا .. إنني سأكون تحت أمرك .. ولكن أليس عجيبا أن نصنع كما يصنع أغلب المسافرين ، أي يتحاشى كل منهم الآخر حتى إذا أوشكت الرحلة على الانتهاء أقبلوا يتعاونون .

فابتسمت وقالت .

– لا .. ليس عجيبا أن يفعل الإنسان ما يفعله أكثر الناس حتى ولو كان يدعو إلى العجب حقا .

- 9 -

قالت له وهي ترسل عينيها إلى الأمواج الراقصة تحت النجوم :

– يجب أن أمضي الآن إلى مخدعي ، فإن علينا أن نصحو مبكرين لنستعد لمغادرة السفينة .

فقال "**ديك**" وكأنه لم يفهم شيئا من حديثها :

– الحقيقة أنك لاتتوقعين أن أمد يدي إلى يدك عبر السياج فأضغط عليها وأصف جمالك بعبارات شاعرية ناعمة أو أن أقول لك مثلا " ألا يكون رائعا لو أننا عشنا معا دائما هكذا بين الأمواج والنجوم " .

فلما سمعها تضحك ، استطرد قائلا :

أما عن جمالك ، فأنا لاأدري كيف أصفه .. وكل ما أستطيع قوله هو أن وجهك خال مما يستحق النقد .. فلو كان أنفك كبيرا بعض الشيء كما يزعم المؤرخون عن أنف "**كليوباترا**" . أو لو كانت شفتاك أقل توهجا ، أو كانت وجنتاك أقل احمرارا لوجدت مايستحق أن أتحدث عنه أو أنقده .

فقالت وهي تكتم الضحك :

– هل تنوي أن تسافر إلى الخارج مرة أخرى .

– لا .. لسوف أبقى في مسكني الصغير بشارع "**كلارجيت**" .. وإذا قلت صغيرا فإنما أعني ما أقول .. ويكفي أن يجلس الإنسان في الغرفة حتى يلمس جدرانها دون أن يبسط ذراعيه .

فتنهدت وقالت :

– إن مسكننا لأصغر من مسكنك .. والواقع أن "**ماديرا**" هي الجنة نفسها بالنسبة لشارع "**كورام**" .

– ما رقم المنزل . ؟

فابتسمت وقالت وهي تغادر ظهر السفينة إلى الداخل :

– إنه واحد من عشرات المساكن المتزاحمة على جانبيه .

وظل "**ديك**" يشيع قوامها الفاتن وهي تغيب عنه .

وأخيرا قال لنفسه متمتما :" الواقع أنها أجمل بكثير مما كنت أظن .. ولا شك أن سر جمالها كامن في عينيها المشتعلتين وفي قوامها الممتلئ الملفوف الانيق " .

ولما اختفت عن عينيه ، تحول بوجهه إلى الأمواج وإلى النجوم والليل ذي الأسرار .. ثم تنهد في عمق وقوة .

- 10 -

كان الاثنان جالسين وجها لوجه في مقصورة بالدرجة الأولى في القطار الذاهب إلى "**لندن**" .. و " **سيبيل**" تقول في صوت خافت رقيق .

– لقد كانت إقامتي في البرتغال رغما عني .. إنني لا أعرف اللغة البرتغالية ولولا هذه المسألة الغامضة التي جعلتني أسافر ، لما فكرت في مغادرة "**لندن**" هذا الشهر .

– فقال "**ديك**" وهو يشعل لفافته :

ولكن موظفي الفنادق يتحدثون الإنجليزية في سهولة.

– إنني لم أكن مقيمة في أحد الفنادق ، وإنما أقمت في بيت قس برتغالي طيب القلب .

فلما رفع حاجبيه في دهشة ، استطردت قائلة :

– كان هناك بستاني على صلة بأبي الراحل يدعى " **سيلفا**" وكان هذا البستاني برتغالي الأصل .. وكان يشتغل عند أحد أقاربنا .. ألم أفتخر أمامك مرة بأنني قريبة للأمير "**سيلفورد**" .. حسنا . منذ ثلاثة أشهر وصل إلى والدتي خطاب من القس البرتغالي قال فيه إن رجلا يدعى " **سيلفا**" مات بعد أن ترك لديه صندوقا صغيرا ، وكان قد جعل القس يقسم على أن يسلم الصندوق إلى السيدة "**لانسدون**" أو ابنتها " **سيبيل**" بعد موته ..

فبدا الاهتمام على وجه "**ديك**" وهو ينصت إلى الفتاة التي مضت تقول :

– ولقد ترددت طويلا مع أمي في السفر ، ولكن حدث أن وصل إلينا بعد ذلك بيومين مبلغ مائة جنيه من شخص مجهول ولذلك لم أتردد في السفر إلى ذلك القس ، وهناك استقبلني الرجل مرحبا وناولني قبيل العودة صندوقا صغيرا وقال إنه سعيد إذ يتخلص من هذا الصندوق بعد أن اقتحم اللصوص بيته ثلاث

مرات في شهر واحد . .

ثم مدت أصابعها داخل حقيبة يدها وتناولت صندوقا صغيرا فتحته وقالت وهي تقدم مفتاحا صغيرا إلى "**ديك**" :

– هذا هو كل ما وجدته في الصندوق ، مفتاح دميم الشكل دقيق الصنع لاقيمة له على الإطلاق .

وتناول " **ديك**" المفتاح وأخذ يقلبه بين أصابعه دون أن يخفي دهشته لهيئة المفتاح الغريبة ودقة صنعه وصعوبة فتح القفل المناسب له بطريقة أخرى .

واستطردت الفتاة تقول :

– ولحسن الحظ أو لسوئه ، وضعت الصندوق الصغير في جيب معطفي الداخلي ولولا ذلك لوقع في يد ذلك الشخص المجهول الذي كان متربصا بجانب بيت القس ، والذي ما إن رآني حتى أسرع واختطف الحقيبة وولى هاربا .

فقال "**ديك**" :

– ألم يحدث لك شيء من هذا القبيل في السفينة ؟

– كنت قد وضعت المفتاح بعد ذلك في ظرف مغلق وأودعته كأمانة عند صراف السفينة . . ولهذا لم يستطع أن يحصل عليه أولئك الذين فتشوا أدراجي وقلبوا خزانة ثيابي وفتحوا حقائبي مرتين في مخدعي بالسفينة .

فتمتم "**ديك**" قائلا :

– هذا عجيب . . . عجيب جدا ، أي رقم في شارع "**كورام**" ، وقبل أن تدرك معنى السؤال أجابت على الرغم منها :

– رقم 107 .

فابتسم وناولها الصندوق وقال :

– هل تعتقدين أن والدتك ستجد حرجا إذا جرؤت وأقبلت على زيارتك

ذات يوم ؟

وقبل أن تجيب كان القطار يدخل محطة "**واترلو**" بـ"**لندن**" فنهض "**ديك**" وودعها وانصرف مسرعا ... ونهضت هي بدورها وغادرت القطار وهي تعجب لانصرافه هكذا بسرعة .

وبينما كان الحمال يستدعي لها سيارة أجرة إذا برجل يصطدم بها ، وآخر يختطف حقيبة يدها ، ويسلمها إلى رجل ثالث .. وقبل أن يفر هذا الأخير بالغنيمة إذا بيد قوية تقبض على عنقه ، وصوت "**ديك مارتن**" القوي يهتف :

– أي مدرسة لعينة علمتك خطف الحقائب من السيدات .

- 11 -

مضى "**ديك**" من فوره إلى مكتب "**هافلوك**" المحامي في" **لنكولن انفيلد**" ، وهناك أدخلته السكرتيرة الخاصة فورا على مخدومها وكأنما كان لديها تعليمات بذلك .

وقال "**ديك**" للسيد "**هافلوك**" بعد أن بادله التحية :

– إن الأمير "**سيلفورد**" هذا شيطان مراوغ حقا .. لقد سافرت وراءه في نصف الكرة الأرضية .. ومع ذلك ..

فابتسم "**هافلوك**" وقال وهو يتناول من سجل خاص أمامه برقية :

– هذه برقية منه .. يقول فيها "من هذا الشيطان الذي أرسلته ورائي ؟ ابعث في استدعائه حالا .. سأحضر في آب (أغسطس)" .

فقال "**ديك**" بعد أن سرد بعض مالقيه في المطاردة :

– هل لديك خطابات كثيرة منه ؟ وهل يمكن أن أطلع على بعضها ؟

– ففتح "**هافلوك**" درجا في مكتبه وتناول سجلا وقال :

– في هذا السجل خطابات العام كلها .. يمكنك أن تتصفحها إذا شئت ..

فتناول "**ديك**" السجل ومضى يتصفح الخطابات ، فلما انتهى أعادها قائلا :

– حسنا جدا .. إنه طائر شرود . ويسرني أن تدعوني للتعرف عليه يوم يأتي .. وأستطيع أن أطمئنك تماما إلى أنه يتنقل بمفرده .. فليس معه خلان سوء، وليست في صحبته امرأة من أي نوع .

ولما عاد إلى مسكنه مساء ، مضى إلى حقيبة صغيرة كانت معه ، فأفرغ محتوياتها على منضدة بجانب الفراش وراح يفحص الأوراق والمذكرات والجوازات وتذاكر السفر وقوائم الطعام ، وأسماء بعض من تعرف عليهم في أثناء تجواله ، وأخيرا تناول ورقة نشاف كان قد عثر عليها في فندق " **بلازا**" بـ"**بوينس أيرس**" عاصمة الأرجنتين .. وكان "**بيرس سيلفورد**" مقيما بتلك الغرفة قبل وصول "**ديك**" إليها بيوم واحد .. ولقد طلب من مدير الفندق أن يمضى به إلى الغرفة التي كان "**سيلفورد**" مقيما بها .. ولما تأكد أن أحدا لم يشغلها بعده .. أخذ "**ديك**" يفحص محتوياتها في عناية ، ومن ثم عثر على ورقة النشاف هذه التي تحمل بحروف مقلوبة هذا العنوان "**برترام كودي، ويلد هاوس، سكس**" .

- 12 -

كان الليل حالكا عندما وصل "**ديك**" بسيارته إلى باب حديقة منزل "**برترام كودي**" في "**ويلدهاوس**" بمقاطعة "**سكس**" .. فلما دق جرس الباب ، تقدمت إليه سيدة بدينة عليها سمات نساء الطبقة الدنيا ، ومن ثم أعطاها بطاقة تحمل اسم "**جون رندل**" 194 شارع "**كوللين ماللبورن**" ، وتقدمت السيدة إلى ردهة انتظار واسعة ثم غابت في غرفة جانبية ، ولم تلبث أن عادت وطلبت منه أن

يتفضل بالدخول إلى السيد " **كودي**" في مكتبه .

كانت الغرفة الجالس فيها السيد "**كودي**" نصف مظلمة وكان الرجل جالسا إلى مكتبه بقامته القصيرة ورأسه الأصلع وعينيه الصغيرتين وجبينه المجعد . ولقد لمح"**ديك**" وهو يدخل الغرفة أن "**كودي**" دس شيئا صغيرا يشبه دفتر مذكرات تحت كومة من الأوراق والخطابات على مكتبه . ونهض الرجل يحيي زائره قائلا وهو يطرف بعينيه :

– تفضل بالجلوس يا سيد " **رندل**" .. أرجو المعذرة على هذا الضوء الخفيف ، إن الضوء القوي يضعف بصري .. وإنني أستقبل ضيوفي عادة في النهار .

فتجاوز "**ديك**" عن العبارة الأخيرة .. وابتسم وقال وهو يجلس :

– إنني آسف يا سيد " **كودي**" لحضوري في مثل هذه الساعة ولكني لن أمكث طويلا .. لقد جئت أمس من "**استراليا** " .

– آه .. على الباخرة "**مولدافيا**" ؟

– نعم . ولما كنت هناك وجدت أنك اشتريت قطعة أرض تجاور مزرعة صغيرة أملكها .. ولقد جئت لأشتري هذه القطعة منك إذا سمحت .

وأومأ السيد "**كودي**" كأنما يطلب من زائره الاستطراد ومن ثم قال "**ديك**" :

– وأحب أن أخبرك بأن أرضك تبشر بوجود ذهب فيها ولهذا فإني لا أريد أن أخدعك في هذه الصفقة .

وبعد أن تحدث بضع دقائق في هذه الناحية .. قال "**كودي**" :

– نعم .. نعم .. إنني أيضا أعتقد أن هناك ذهبا في أرضي ، ولكن بعض المهندسين أكدوا لى من جهة أخرى أن نفقات استخراجه تربو على قيمته في السوق ، ولذا فإني أخبرك بهذه الحقيقة حتى لاأخدعك بدوري .

فابتسم "**ديك**" وقال :

– وأظنك – كما قيل لي – قد اشتريت هذه الأرض من الأمير "**سيلفورد**" .

فطرف الرجل بعينيه وقال :

– بل .. في الواقع .. اشتريتها من .. من .. وكلائه وإنني لا أذكر أسماءهم الآن .. ولكني أعتقد أن الأمير يقضي أوقاته متجولا في أنحاء العالم .. إنه كما سمعت رجل محب للأسفار والرحلات .

ثم نهض فجأة وقال وهو يمد يده :

– إنني أشكر لك هذه الزيارة يا سيد "**رندل**" .. كنت أتمنى لو استطعت تحقيق رغبتك .. ولكن الأرض .. كما قلت تحوي ذهبا يدر مالا .

فنهض "**ديك**" واستند بيديه على كومة الأوراق الموضوعة فوق المكتب ثم اعتدل فجأة ومد يده مصافحا السيد "**كودي**" قائلا له :

– شكرا .. ولكن .. ألم تتبادل الرسائل مع الأمير "**سيلفورد**" بشأن هذه الأرض ؟ فعاد الرجل يطرف بعينيه ويقول :

– لا .. مطلقا .. ولماذا أفعل ؟

ثم صحب زائره إلى باب البيت حيث ظل واقفا إلى أن غابت السيارة عن عينيه ، فلما دخل قالت زوجته له :

– من هذا الرجل يا "**كودي**" ؟

– إنه السيد "**ديك مارتن**" .. مفتش سابق في "**اسكتلنديارد**" .

– آه .. مفتش بوليس .. ولماذا جاء ؟

– لا أدري .. ولكني كنت أتوقع مجيئه على كل حال .

ولما عاد إلى مكتبه باسما ومد يده إلى كومة الأوراق ليستعيد مفكرته ، هتف بصوت مرتعد قد غمره الفزع :

– ياإلهي .. لقد أخذ اللعين المفكرة .. المفكرة بما فيها أغلقي الباب .. أسرعي .. إنني سأتحدث في التليفون حالا ..

- 13 -

كانت السيارة تنطلق بـ "**ديك**" في هدوء وانسياب على الطريق الزراعي المظلم وكانت ترتسم على شفتيه ابتسامة خفيفة وهو يتناول المفكرة ويقلبها في يديه وفجأة شعر بشيء صلب في كيس صغير ملحق بغلافها الجلدي ، فلما مد أصابعه داخل الكيس إذا به يجد مفتاحا صغيرا دقيق الصنع غريب الشكل ، يشبه تماما المفتاح الذي رآه مع "**سيبيل لانسدون**" وأوقف "**ديك**" السيارة برهة ريثما يخفي المفتاح تحت الغطاء المطاط الموضوع عند قدميه وعندما اطمأن عليه عاد ينطلق بالسيارة وقد بدأ المطر ينهمر غزيرا .. وفجأة رأى سيارة نقل كبيرة مقبلة عليه بسرعة هائلة . ولولا براعته في القيادة لألقت السيارة به وبسيارته في المصرف المجاور للطريق .

وبعد أن سار بضع دقائق أخرى لمح في عرض الطريق ثلاثة مصابيح حمراء كالتي توضع في الطرق عندما يكون بها حركة إصلاح .. فأوقف سيارته بجانب سياج خشبي تظلله أشجار قديمة ، ثم هبط منها وتقدم في حذر نحو المصابيح الحمراء.. لقد كان يشك في الأمر .. وكان يقول لنفسه " كيف يكون في الطريق خلل وقد رأيت سيارة النقل الكبيرة مقبلة من هذه الناحية" !

وتحققت شكوكه عندما وجد أن المصابيح قديمة وأن الطلاء الأحمر حديث العهد بها، ولقد ابتسم لنفسه وهو يلقي بالمصابيح إلى المستنقع ثم يعود إلى سيارته . ولكن الابتسامة غاضت من شفتيه عندما وجد خزان البنزين فارغا على الرغم من أنه كان ممتلئا قبل أن يبدأ رحلته .

ولما كان غطاء الخزان من النوع الذي لايفتح إلا بآلة حديدية ، فقد أدرك "**ديك**" أن فراغ الخزان من الوقود إنما حدث بفعل فاعل .. ولقد ازداد حرجه عندما تذكر أنه لايحمل وقودا إضافيا .. ومن ثم لم يجد مندوحة من توجيه مشعله الكهربائي في كل ناحية ليتعرف على المكان وليحاول أن يحصل على بعض البنزين من أحد السكان المزارعين .

وللمرة الأولى علم أنه بناحية "**جاللوز**" ، وأنه واقف بسيارته تحت سياج بيت الدكتور "**ستالليتي**" .

◆◆◆◆◆

وأخذ يتلمس طريقه – والمصباح الكهربائي في يده خلال الممر المؤدي إلى بيت "**ستالليتي**" .. وفي أثناء سيره كاد يسقط في حفرة طولها ستة أقدام وعرضها ثلاثة أقدام وعمقها أربعة أقدام كأنها قبر مفتوح لاستقبال جثة ميت. ولقد أخذت "**ديك**" رعدة وهو ينظر إلى الحفرة .

وكان الظلام كثيفا ، والمكان هادئا كأنه مقبرة صامتة رهيبة ، ولقد تردد "**ديك**" طويلا قبل أن يطرق الباب .. ولقد دهش إذ سمع وقع أقدام الرجل تقبل نحو الباب مسرعة . فلما ظهر وتساءل عن الطارق ، قال "**ديك**" إنه جاء يطلب جالونا من البنزين أو جالونين لأن بنزين سيارته قد فرغ .

فقال "**ستالليتي**" وهو يرفع مصباحه في وجه "**ديك**" ويحدق فيه :

– آه .. أهذا أنت ؟ الشاب الذي جاء منذ أشهر لاستعادة الكتاب ؟ حسنا .. حسنا .. انتظر برهة حتى أحضر لك جالونين .. ولكني لا أمنح البنزين بغير ثمن لكل طارق .. إذا لم يكن معك نقود ، فليس هنا بنزين .

فابتسم "**ديك**" وطمأن الرجل من هذه الناحية ، ولم تمض بضع دقائق حتى

عاد "**ستالليتي**" يحمل وعاء الوقود فسلمه إلى "**ديك**" وتناول الثمن ثم أغلق الباب وراءه .

وفجأة سمع "**ديك**" من داخل البيت صرخة خافتة رهيبة فظيعة لم يسمع في حياته أرهب ولا أفظع منها .. فتوقف برهة مترددا ، ثم رفع عينيه إلى نوافذ البيت الحديدية ذات الستائر السميكة ، وأخيرا هز كتفيه ومضى يخطو في حذر على الممر .

ولما كان يسير بحذاء له نعل من المطاط . فقد كانت خطواته غير مسموعة ، ومن ثم استطاع أن يرهف أذنيه في السكون الذي خيم حوله بعد تلك الصيحة العجيبة الرهيبة وكذلك استطاع أن يلتقط بسمعه المرهف صرير أوراق الشجر كأنما هناك من يختلس الخطى بينها .

وفجأة رأى ذراعين هائلتين كأنهما ذراعان لعملاق ضخم تمتدان من وراء الأشجار تتلمسان كتفيه ، فوضع وعاء البنزين من يده في سرعة ، واستطاع قبل أن تقبض اليدان على عنقه أن يمسك إحداهما بكلتا يديه وأن يلويها ليا شديدا ثم يشدها فجأة بحركة من حركات المصارعة اليابانية مما جعل ذلك المخلوق الضخم الغامض يرتفع في الهواء بضع أقدام ثم يسقط عند قدمي "**ديك**" وهو يكتم صيحة بكاء خافتة .

وقال "**ديك**" وهو يمد يده إلى جيبه ويتناول مسدسه :

– حذار أن تتحرك .

ولما تناول مصباحه وسلط شعاعه حوله ، لم يجد أثرا لذلك المخلوق .. ولكنه قبل أن يعود أدراجه لمح جسم رجل عار ضخم لايرتدي شيئا سوى حزام من جلد النمر حول خصره .. لمحه وهو يغيب بين الأشجار كأنه شبح رهيب .

وتمتم باللعنات وهو يعود إلى سيارته .. ولما انطلق بها كان يفكر في دكتور "**ستالليتي**" ، وفي تلك الحفرة التي حفرت – ولاشك – لتستقبل جثته هو .

- 14 -

وأسرع "**كودي**" في سيارته إلى بيت "**ستالليتي**" وهناك قال لسائقه "**تومي كاولر**" :

– قف هنا .. وانتظرني .. لاتتحرك حتى أعود إليك فدمدم "**تومي**" من بين أسنانه بحديث مبهم ، بينما مضى "**كودي**" في الممر المؤدي إلى باب البيت ، ولقد تمتم باللعنات حين سقط في الحفرة ، ولكنه لم يطرق الباب ، وإنما مضى إلى نافذة جانبية فدق عليها خمس مرات ، وعندئذ عاد إلى الباب حيث وجده مفتوحا ووجد "**ستالليتي**" يقول له :

– آه .. هل جئت يا "**كودي**" .. حسنا .. ادخل .. ادخل ..

فدخل "**كودي**" إلى غرفة "**ستالليتي**" الخاصة حيث قال في صوت خافت :

– هه . ماذا فعلت .. هل نجا من يديك ؟

– نعم .. للأسف .. لقد كان الموت أقرب إليه في هذه الليلة من أي إنسان آخر .. ولكنه محظوظ .. ماذا أفعل لقد وضعت المصابيح بنفسي في عرض الطريق ولقد أفرغت خزان البنزين بيدي .. ولقد أرسلت وراءه شخصا ما .. ولكن هذا الشخص لم يستطع أن يتم مهمته .. إنك لا تستطيع أن تنمي الجسم والعقل معا إذا نميت العضلات فإنما تنميها على حساب العقل .. وأظن أن البوليس سيحضر غدا لتفتيش البيت .. ولكن هذا لايهم .. إنهم لن يجدوا سوى بضعة فئران ميتة .

ثم أمسك عن الحديث برهة وعاد فسأل :

– ولكن من يكون هذا الرجل ؟ إنني أذكر أنه جاء ليطلب كتابا منذ شهور و . . . وما علاقته بنا ؟

فقال "**كودي**" في صوت مرتعد :

– إنه المخبر الخاص الذي أرسله "**هافلوك**" ليتتبع الأمير "**سيلفورد**" .

ثم ضحك فجأة كأنما يضحك لنكته خفيفة بينما قال "**ستالليتي**" .

– وهل استطاع أن يلحق بالأمير . . لا . . حسنا . . لعله كان يستخدم القطارات في الوقت الذي يستخدم فيه غيره الطائرات . . حسنا . . وماذا تريد مني يا صديقي أن أفعل ؟

– أريد بعض المال .

ففتح " **ستالليتي**" درج مكتبه وتناول صندوقا أخذ منه حزمة سميكة من الأوراق المالية قدمها إلى "**كودي**" قائلا :

– إن المال أصبح قليلا الآن . . وإذا قل زاد الرصيد وهذا في مصلحتك ، لأنني إذا مت فسيذهب نصيبي إليك والعكس صحيح .

فدمدم "**كودي**"بين أسنانه .

– أرجوك لاتذكر الموت أمامي ، ويكفي أننا لم نحترم الاتفاق الذي عقدناه في أول الأمر . . فإذا حاولت أن تقتل . .

فقاطعه "**ستالليتي**" قائلا :

– أقتل . . ؟ هل أنا أقتل . .؟

فقال "**كودي**" ساخرا :

– لا . . إنني لم أقل هذا . . أظن أن "**ليوفيني**" مات منتحرا . . أليس كذلك؟

فابتسم الدكتور ابتسامة رهيبة وقال :

– إنني لا أحب الرجال الذين يتحدثون بهذه اللهجة

لاتنس ما يحدث لو ذهبت إلى إدارة البوليس واعترفت بكل شيء ..

فوثب "**كودي**" وقال مرتعدا :

– لا .. إنك لا تستطيع ..

وعندئذ سمع الاثنان صريرا قرب النافذة ، فقال دكتور "**ستالليتي**" .

– أنصت .. يبدو أن هناك من يسترق السمع .. انتظر ..

ثم أسرع وفتح الباب ومضى نحو النافذة ولم يلبث أن عاد وفي يده جزء من آلة ميكرفون صغيرة . قال وهو يقدمه إلى "**كودي**" .

– أظن أن سا ئق سيارتك مغرم بالفضول وحب استراق السمع .

فتمتم "**كودي**" :

– لقد جئت إلى بيتك سيرا على الأقدام .. إنني لم أحضر في السيارة .. ومهما يكن من شيء ، فإن الذي كان يسترق السمع لن يكون "**كاولر**" ..لاتنس أنه ابن أخت زوجتي .

فقلب "**ستالليتي**" الآلة الصغيرة بين يديه وقال :

– كم يكون عجيبا لو أنك تحتفظ في بيتك .. بجاسوس .

– وكيف يكون هذا .. إنك تعرف ما أعرفه عن "**كاولر**" .

– إنني أعرف أنه لص . لص سيارات . وأن البوليس يراقبه دائما وأذكر أن السيد "**مارتن**" .. "**مارتن**" هذا .. قد عرفه مباشرة حين رآه هنا .

وعندئذ أخذ "**كودي**" يتحدث طويلا في همس مع "**ستالليتي**" الذي قال أخيرا – آه .. من المؤسف أن "**بيبو**" لم يكن خارج البيت عندئذ ..

وأخير غادر "**كودي**" مسكن "**ستالليتي**" ومضى إلى سيارته التي كانت واقفة على قيد نصف الميل ، وهناك وجد "**كاولر**" نائما ، فلما أيقظه قال له :

– هل كنت تسترق السمع علينا في بيت "**ستالليتي**" .

– إنني لم أترك مكاني هنا . ثم إنني لا أحب أن تخاطبني بهذه اللهجة .

– ولماذا ؟ ألأنك ابن أخت زوجتي .. أهذا جزائي منك ؟

فضحك "**كاولر**" ساخرا ، ثم جلس في مقعد القيادة ..

وانطلق بالسيارة في سرعة رهيبة جعلت "**كودي**" يتصبب عرقا خوفا ورعبا ..

فلما وقفت السيارة أمام البيت هبط الرجل منها وهو يرتعد ارتعادا واضحا ويقول :

– ألم أقل لك ألف مرة ألا تقود السيارة بهذه السرعة ؟

فهز "**كاولر**" كتفيه ومضى بالسيارة إلى الجراج وكأنما يرى "**كودي**" غير كفء لمبادلته الحديث .

- 15 -

وفي اليوم التالي مضى "**ديك**" إلى السيد "**هافلوك**" في مكتبه وقال له :

– لقد جئت لأعترف لك .

فابتسم "**هافلوك**" وقال :

– حسنا .. إن هذا فأل طيب .

– لقد علمت أثناء تحرياتي عن الأمير "**سيلفورد**" أنه كان يراسل رجلا يدعى "**كودي**" هل تعرفه ؟

فقطب "**هافلوك**" جبينه وقال :

– إنني .. لاأذكره تماما .

– إنه الرجل الذي اشترى قطعة أرض من أملاك "**سيلفورد**" في "**استراليا** " .

فانبسط جبين المحامي وهو يقول :

– آه .. إنني أذكره الآن .. لقد قرأت مرة في صحيفة الـ" **تيمز**" أنه وجد بأرضه هذه منجم ذهب .. نعم .. نعم إنه "**كودي**"

– وهل هناك سبب يدعو السيد "**كودي**" ليراسل "**بيرس سيلفورد**" ؟

– ربما .. لعل "**سيلفورد** كتب له بشأن هذه الأرض هل حاولت أن تسأله – بهذه المناسبة – عما إذا كان يعرف "**بيرس سيلفورد**" شخصيا ؟

فأومأ "**ديك**" برأسه قائلا :

– نعم .. ولكنه أنكر أنه راسل "**بيرس سيلفورد**" .

وهذا مايدعو إلى الشك .. وبالمناسبة هل رأيت شيئا كهذا ؟ ..

ثم تناول مفكرة "**كودي**" من جيبه ففتحها أمام "**هافلوك**" وأخرج منها المفتاح وناوله إليه ، فقال "**هافلوك**" وهو يفحص المفتاح بعناية :

– إنه مفتاح عجيب .. من أين حصلت عليه ؟

– وجدته في هذه المفكرة التي .. التي اقترضتها من "**كودي**" .. إن صفحاتها كما ترى زاخرة بالمعلومات عن تنقلات "**بيرس سيلفورد**" خلال الأشهر الستة التي قضيتها في ملاحقته

فأخذ "**هافلوك**" يقلب صفحات المفكرة في هدوء قائلا :

– هذا عجيب .. عجيب جدا .. ومع ذلك فهو ينكر كل صلة بـ"**بيرس**" ؟

– نعم .. لقد أقسم أنه لم يره قط في حياته ولم يتلق منه رسالة قط .. وعلى هذا فإن شراءه قطعة الأرض كان عن طريقك .

فأومأ المحامي قائلا :

– نعم .. إنني أذكر الآن .. لقد قام وكيلي بهذه المهمة .

– وهل تعرف شخصا يدعى "**ستالليتي**" .. إن بيته في منتصف الطريق إلى "**بريتون**" :

فدهش "**هافلوك**" وقال :

– آه .. نعم .. إنني أعرف "**ستالليتي**" .. ولكنني لم أذهب إلى بيته منذ

سنين.. هذا مع العلم بأن البيت والحديقة التابعة له من أملاك "**سيلفورد**" ..وأذكر أنه حوكم بتهمة تشريح الحيوانات الحية بدون تصريح رسمي .. ماذا حدث منه ..

فقص "**ديك**" عليه ما حدث في الليلة السابقة بعبارات واضحة قوية أثارت اهتمام "**هافلوك**" إلى أقصى حد .. فلما انتهى قال المحامي :

– ألن تذكر هذه الحادثة للبوليس ..؟

– لسوف أخبر بها المفتش "**سنيد**" في أقرب فرصة .. والآن ، هل تعلم يا سيد "**هافلوك**" شيئا عن المورد الذي يعيش "**ستالليتي**" منه .. ؟

– إنني لا أعرف بالتأكيد .. وكل ما أعرفه أنه رجل ماهر في المسائل الطبية والعلمية .. آه .. لقد تذكرت الآن أنه استأجر الأرض والبيت بناء على توصية من "**كودي**" .. وكان ذلك بعد أن تمت الصفقة التي اشترى بها السيد "**كودي**" الأرض الاسترالية .

فشكره "**ديك**" وحياه بعد أن حصل منه على كل المعلومات التي كان في حاجة إليها .

ولما بلغ مسكنه . جهز حقيبتين من حقائب ثيابه ، وطلب من مديرة المسكن أن تغيب شهرا ولا تقترب من المسكن بأي حال من الأحوال ، ثم أوصى بواب البيت بأن يتسلم البريد الخاص به ويحوله إلى إدارة "**اسكتلنديارد**" .

لقد أيقن "**ديك**" أن مقتل "**ليوفيني**" ومسألة المفاتيح الغريبة وحادثته في منزل "**ستالليتي**" تستوجب تحريات خاصة وعملا حازما سريعا لكشف هذه الأسرار ولم يخبر السيد "**هافلوك**" بتفاصيل خطواته التالية وذلك لأنه رأى ألا يضع ثقته في أي إنسان .

- 16 -

كانت السيدة "**لانسدون**" جالسة مع ابنتها "**سيبيل**" في غرفة بالمسكن الصغير الذي تعيشان فيه .. وكانت السيدة في نحو الخمسين من عمرها وعلى جمال بالغ رغم كبرها في السن .. ولقد رأت في شبابها وفي حياة زوجها لونا من الثراء الباذخ والترف والنعيم .. كان زوجها مديرا ومساهما كبيرا في شركة من أكبر الشركات الصناعية ، وكانت له قصور ومزارع واسطبلات لجياد السباق.. وضاع هذا كله قبيل وفاته عندما أفلست الشركة الصناعية..

وبعد وفاة الزوج استطاعت السيدة "**لانسدون**" أن تنقذ ما يمكن إنقاذه من متاعها الخاص ، ثم انطوت على نفسها وابنتها في هذا المسكن الصغير الأنيق تعيشان معا في هدوء وقناعة ..

وكانت "**سيبيل**" تعمل أصابعها في أشغال الإبرة ، بينما كانت أمها تتصفح بعض المجلات وكانتا تتبادلان الحديث بين حين وآخر .. فقالت "**سيبيل**" في أثناء حديثها :

– وكيف ترك "**سيلفا**" بلاده ليشتغل هنا في شبابه ؟

وأجابتها أمها :

– عندما زار والدك "**ماديرا**" التقى به وطلب منه أن يعود معه إلى "**انجلترا**" ليشتغل في مزارعه ولكن قريبا لوالدك تعلق بالبستاني الماهر وطلب أن يستخدمه .. فوافق والدك وإن كان ذلك الغريب شديد البأس ، لايتورع عن ضرب خادميه. وساد الصمت برهة قطعته السيدة "**لانسدون**" بقولها :

– ومن يكون هذا الرجل الذي حدثتني عنه .. وأنه أنقذ حقيبتك من السرقة... بماذا يشتغل ؟

فضحكت "**سيبيل**" وقالت :

– هذه رابع مرة تسألينني عنه يا أماه ، إنه شاب لطيف كان يعمل مفتشا مساعدا بإدارة "**اسكتلنديارد**" ثم صمتت برهة وسألت فجأة :

ترى ما هو مركز المفتش المساعد في هذه الإدارة .. ؟!

فضحكت السيدة " **لانسدون**" وقالت :

– تماما كمركز سكرتيرة دار كتب عامة ..

فنهضت "**سيبيل**" وعانقت أمها قائلة :

– ماذا تظنين يا أماه .. أنني .. أنني أحبه .؟

– ولماذا .. لا ..؟

– الواقع أنني لا أدري تماما .. أحيانا أشعر بالميل نحوه وأحيانا أنساه تماما .. ومهما يكن من أمر فأنا لا أعرف عنه شيئا كثيرا ومن يدري .. قد يكون متزوجا ورب أسرة كبيرة ..؟

وعندئذ دق الباب ، فلما فتحته "**سيبيل**" للطارق ضحكت وقالت :

– هل تصدق أننا كنا نتحدث عنك الآن ؟ تفضل .. ولما قدمت الفتاة كلا من أمها وضيفها للآخر ، قالت الأم باسمة :

– إنني سعيدة إذ أراك يا سيد "**مارتن**" .. وأحب أن أشكرك حمايتك لـ"**سيبيل**" في محطة "**واترلو**" ..

فقال "**ديك**" :

– إنني سعيد إذ تذكرين هذا .. ذلك أنك مهدت لي السبيل للحديث الذي جئت من أجله ..

ثم التفت إلى "**سيبيل**" وقال :

– إن مفتاحك موضوع الآن في خزانة المصرف الذي أتعامل معه ... ويمكنك أن تقولي هذا لكل من يحاول أن يخطف منك حقيبة يدك مرة أخرى .

فقالت "**سيبيل**" في دهشة :

– ولكن كيف .. ؟ إنني أذكر أن الصندوق الصغير قد اختفى من يد اللص عندما أمسكت به .

فقال "**ديك**" :

– نعم .. وإنني لم أهتم با ختفائه .. فقد كنت مستعدا لهذا الاحتمال فأخذت المفتاح منه .. أما ذلك الشيء الذي كان يتدحرج داخله فقد كان قطعة نقود فضية وضعتها بدلا من المفتاح ..

فازدادت دهشة الفتاة وهتفت :

– أحدث كل هذا دون أن أشعر ..؟

فابتسم "**ديك**" وأخبرها بشيء عن مهارته في النشل التي اكتسبها أيام كان صبيا في "**كندا**" ..

◆◆◆◆◆

وبعد حديث قصير هادئ شعرت السيدة " **لانسدون**" خلاله بجاذبية نحو الشاب وعذرت ابنتها لميلها إليه ، قال "**ديك**" فجأة :

– والآن .. أحب أن ألقي عليكما بعض الأسئلة إذا سمحتما بذلك .. لقد أخبرتني "**سيبيل**" عن قرابتها للأمير "**سيلفورد**" .. فهل هناك قريب آخر له ؟

فقالت الفتاة :

– لا .. مطلقا .. إنني وأمي قريبتاه الوحيدتان ، هذا إذا لم يكن قد تزوج .

فضاقت عينا "**ديك**" وبدا الاضطراب قليلا على وجهه وهو يقول :

– لقد كنت أتوقع هذا وأخشاه .. وإنني لأشعر بالقلق على سلامة كل منكما . ثم التفت إلى الأم وقال :

– أليس لكما من أصدقاء في الريف يا سيدتي ؟

فقالت في دهشة :

– بلى . . إن لي أصدقاء كثيرين . . ولكن لماذا تسأل ؟

فنظر إلى آلة التليفون وقال :

– هل يمكن أن تتركا "**لندن**" عند أول تحذير مني إليكما . .

لقد كنت أود أن تغادراها الآن ، ولكنني أخشى أن يؤثر هذا الغياب في عمل "**سيبيل**" بدار الكتب . .

فقالت الأم في هدوء :

– ألا يمكن – إذا سمحت – أن تذكر لنا السبب . . ؟!

فهز رأسه قائلا :

– لا أستطيع الآن . . على الأقل . . إن الأمور لا تزال غامضة . .

فقالت "**سيبيل**" :

– أكل هذا بسبب المفتاح ؟!

– نعم . . ربما . . ولكن . . كيف كانت حالة الأمير "**سيلفورد**" الراحل ؟

فقالت الأم :

– كان رجلا فظا شديدا . . كان سكيرا . . ولقد حدث منه أمران لايستطيع الإنسان أن يتحدث عنهما . . ولقد كانت هذه هي حالة آل "**سيلفورد**" جميعا . ويقال إن الجرائم الأخلاقية التي ارتكبها "**سيلفورد**" الكبير – مؤسس الأسرة في القرن الخامس عشر – جعلت البابا يحرمه حقوقه الدينية .

ولعلك سمعت عن مقابر "**سيلفورد**" . .؟ !

فهز رأسه نفيا وقد أعادت هذه الكلمة إلى ذاكرته حادثة قتل "**ليوفيني**" . . الرجل الذي مات لأنه عرف أكثر مما يجب عن مكان رهيب في مقبرة رهيبة . .

وعادت الأم تقول .

– لقد شغفت بقراءة تاريخ هذه الأسرة ، ولقد أدهشني أن أعلم أن مؤسس الأسرة شيد مقبرة خاصة ليدفن فيها هو وأولاده وخلفاؤه بعد أن حرمته الكنيسة الدفن في مقابر المسيحيين .. ويقال إنه استطاع إغراء أحد الكهنة ليبارك المقابر التي شيدها .

فقال "**ديك**" :

– وأين توجد هذه المقابر ..؟

– في ركن من مزارع " **سيلفورد بارك**" .. ويقال إن الطيور لا تقرب هذا المكان .. ولعل السبب في هذا خلو تلك الناحية من ينابيع الماء ..

فعاد "**ديك**" يسأل :

– ومن الذي يقيم الآن في قصر المزرعة .. أظن أن للمزرعة قصرا ككل مزارع الأغنياء ؟

– آه .. بالتأكيد .. إن حانوتي المقبرة هو الذي يقيم في القصر مع زوجه .. ويقال إن الأمير "**سيلفورد**" الشاب يكره الإقامة في هذا القصر وينوي أن يبيعه لو سنحت الفرصة .

– وهل رأيت "**سيلفورد**" الشاب هذا ؟

– نعم .. رأيته مرة واحدة ..، ولقد تلقيت منه بعض الرسائل .. كان آخرها منذ بضعة أشهر .. أتحب أن تطلع عليها ..؟

فلما أومأ "**ديك**" برأسه ، أحضرت السيدة بعض الرسائل ، فتصفحها "**ديك**" بإمعان وبهذا أيقن أنها مكتوبة بنفس الخط الذي كتبت به الرسائل المرسلة إلى "**هافلوك**" ..

وأخيرا سألها عما إذا كانت قد سمعت باسم "**ستالليتي**" أو "**كودي**" ؟

فلما أجابت بالنفي نهض وقال :

– إنني سأمضي الآن .. وكل ما أرجوه هو أن توافقا على مغادرة "**لندن**" عند أول تحذير مني .. أما السبب فإنني أحتفظ به لنفسي حتى تتضح الأمور قليلا وقبل أن تعترض الأم أسرعت "**سيبيل**" قائلة :

– أظن يا أماه أن السيد "**مارتن**" على حق .. إنه لايطلب منا أمرا عسيرا وأعتقد أن لديه أسبابا قوية تبرر رغبته هذه ..

فنظر "**ديك**" إليها بعينين تفيضان بالشكر والإعجاب ، ثم ودعهما وانصرف ..

- 17 -

عندما غادر "**ديك**" مسكن السيدة "**لانسدون**" ؟ لاحظ أن رجلا يتبعه على بعد عشرين قدما ، ومن ثم لم يجد صعوبة في التخلص منه ، وذلك بأن دخل من باب فندق كبير ثم انفلت من أحد الأبواب الأخرى الجانبية ثم استقل سيارة أجرة انطلقت به إلى إدارة "**اسكتلنديارد**" ..

وفي غرفة المفتش "**سنيد**" ، أخذ "**ديك**" يقص على رئيسه السابق كل ماحدث له تقريبا منذ أن استقال من الخدمة وكان "**سنيد**" يقاطعه بين الحين والآخر قائلا :

– أعتقد أن هذه القصة مقتبسة من رواية بوليسية خيالية كنت تتسلى بها في أثناء عطلتك ..

فلما انتهى ضغط المفتش زر الجرس الموضوع على مكتبه وقال للضابط الذي لبى النداء :

– اسمع يا "**كران**" .. أريد أن تضع رجلين من أمهر رجالنا في الحراسة أمام

المنزل رقم 107 شارع "**كورام**" .. وأريد أن يتتبع السيد "**مارتن**" رجل من أمهر رجال المراقبة ويجب أن ينام هذا الرقيب مع السيد "**مارتن**" في مسكنه ليلا .. ولما كتب الضابط هذه الأوامر في مفكرته ، استطرد "**سنيد**" :

– واتصل غدا صباحا برئيس بوليس مقاطعة "**سكس**" وأخبره أنني سأقوم بحملة تفتيشية على منزل "**ستالليتي**" بناحية "**جاللوز**" الواقعة في أملاك "**سيلفورد**" .. وسيكون ذلك في الحادية عشرة والربع مساء .. وسيكون رجالي معي ، وعليه أن يكون هناك ومعه ثلاثة رجال أو أربعة ..

ولما مضى الضابط ، التفت "**سنيد**" إلى "**ديك**" وقال :

أتقول إن الشخص الذي هاجمك في حديقة "**ستالليتي**" كان عاريا إلا من حزام حول خصره ؟!

– نعم ..

فقال المفتش في تقطيب :

– عجبا .. هل يمكن أن يكون "**ستالليتي**" قد حاول تطبيق نظريته عمليا .. لقد كان دائما ينادي بأن أحسن طريقة لتنمية عضلات الجسم هي ترك الإنسان حبله على الغارب وعدم تهيئة الجو الذي يسمح بنمو عقله حتى لايعوق هذا النمو تقوية عضلاته .

ثم صمت برهة وعاد يقول :

– أقسم أن أقود "**ستالليتي**" إلى المشنقة إذا وجدت عنده رجلا ضعيف العقل قوي الجسم .. أيحاول اللعين أن يجري تجاربه على الإنسان أيضا ..؟

وحاول المفتش "**سنيد**" بعد ذلك أن يرافق "**ديك**" إلى منزله ولكن هذا الأخير رفض الاقتراح حتى لايراهما معا أولئك الذين يعملون في الظلام ..

وبلغ "**ديك**" أخيرا مسكنه من الناحية الخلفية المطلة على أراض زراعية واسعة

فلما دخل الشقة ، لم يضئ النور فيها حتى أيقن أن الستائر كلها مسدلة على النوافذ وأن بصيصا من النور لايمكن أن ينساب إلى الخارج إذا ما أضاءه ..

وبعد أن جهز لنفسه عشاء خفيفا مع قدح من القهوة ، استغرق بضع ساعات في تصفح بعض الكتب التاريخية والتجارية التي ورد فيها شيء عن أسرة "**سيلفورد**" وعن شركة "**جريجوري لانسدون**" والد "**سيبيل**" الذي مات مفلسا .

وكانت الساعة قدبلغت الثانية بعد منتصف الليل عندما طوى الكتب وأطفأ الأنوار وأزاح الستائر عن نافذة مخدعه الزجاجية حيث كان ضوء القمر يسكب فيضا ساحرا من نوره داخل الغرفة ..

ولم يأو إلى فراشه حتى أغلق باب المسكن ونوافذه من الداخل والخارج ..

ولم يدر "**ديك**" كم مضى عليه في نومه .. ولكنه حين فتح عينيه فجأة ، رأى نور القمر وتحرك من خزانة الثياب إلى باب الغرفة المواجهة للفراش .. وأحس "**ديك**" أن ثمة شيئا أيقظه من نومه الخفيف وخيل إليه أنه سمع خطوات خفيفة لأقدام عارية تتسلل في المسكن وراء باب مخدعه .. بل إنه يرى بعينيه مزلاج الباب وهو يتحرك ، ثم يرى الباب يفتح قليلا وتظهر وراءه ذراع ضخمة قوية كأنها ذراع عملاق وفي أسرع من لمح البصر استدار "**ديك**" وألقى بنفسه إلى الناحية الأخرى من الفراش ، وفي الوقت ذاته رأى شبح عملاق عار يلقي بنفسه على الفراش مزمجرا كالوحش ، بل لقد لمست إحدى يدي "**ديك**" جزءا من ذراع العملاق لمسة جعلته يشعر بالغثيان ..

أما يده الأخرى فقد دسها تحت الوسادة ليظفر بمسدسه الأوتوماتيكي ، وقبل أن يطلق النار ، كان شبح العملاق قد اختفى فجأة كما ظهر .

فنهض "**ديك**" وأسرع خارج مخدعه إلى حيث باب مسكنه ، فلما وجده

مغلقا من الداخل هرع إلى باب المطبخ حيث رآه مفتوحا ، وكذلك النافذة الملحقة به . وعندما أطل منها لمح ذلك الشبح العملاق العاري يهبط على سلم من الحبال مشدود إلى سياج شرفة قريبة من نافذة المطبخ ، ولم تمض ثوان معدودة حتى اختفى في المزارع الممتدة وراء البيت .

وظل "**ديك**" واقفا إلى أن سمع صوت سيارة تتحرك مبتعدة ثم تلاشى الصوت شيئا فشيئا وساد السكون مرة أخرى ..

ومضى إلى الشرفة فرفع سلم الحبال وقد عرف كيف قتل "**ليوفيني**" . ومرة أخرى أغلق النوافذ والشرفات وأبواب المسكن الداخلية وعاد إلى فراشه فألقى بنفسه عليه متعبا مجهدا ثم استغرق في نوم عميق .

- 18 -

استيقظ "**ديك**" على رنين جرس التليفون ، فلما تناول البوق سمع صوت "**سيبيل**" تقول له ضاحكة :

– لقد صدق ظني أنك موجود وإن كان البواب ينكر وجودك .. لقد جئت إلى مسكنك قبل ذلك بنصف الساعة ولكن البواب أكد لي أنك لم تعد إلى بيتك بعد . فسألها "**ديك**" :

– هل حدث شيء ؟

– إنني أريد استشارتك ..

– حسنا جدا .. أسرعي بالحضور ..

وحين أقبلت إليه كان واقفا في المطبخ يعد فطوره فأخذت تساعده على تجهيزه بينما كان هو يسألها متلهفا :

– ماذا حدث ؟ ألا تخبرينني ؟

– عندما تنتهي أولا من فطورك .. ولكن ماهذا السلم الغريب ؟

فابتسم وقال مازحا :

– إنني أحتفظ به للنجاة من الحريق ..

وبعد أن شربا معا أقداح القهوة قالت الفتاة :

– لقد تحدثت مع أمي طويلا هذه الليلة ، وأخشى أن أقول إنك سببت لها قلقا شديدا ، وانتهى الرأي بي أخيرا إلى أن ذهبت هذا الصباح إلى السيد "**هافلوك**" وأخبرته بموضوع رحلتي إلى البرتغال ، ولقد بدا القلق عليه بوضوح وأصر على أن يخبر إدارة "**اسكتلنديارد**" بالأمر حتى تتخذ الاحتياطات الكافية لسلامتي وأمي .. ولقد أدهشته باقتراحي ..

فقاطعها "**ديك**" قائلا :

– أي اقتراح . ؟!

– هو أن نذهب ثلاثتنا أنت والسيد "**هافلوك**" وأنا إلى مقابر "**سيلفورد**" ..

فابتسم "**ديك**" وقال :

– يبدو أنك قد قرأت أفكاري .. لقد كنت أنوي أن أمضي إلى هذه المقابر بعد عصر اليوم .. بمفردي بالتأكيد ..

– لو أنك فعلت لما استطعت أن تدخل إلى المكان بدون إذن من السيد "**هافلوك**" ولقد سمعت أن ذلك المكان رهيب إلى حد كبير .. ولأمي كل الحق في أن تعترض على ذهابي معكما .

– ومتى نذهب ؟

لقد اتفقت مع السيد "**هافلوك**" على الساعة الثانية والنصف بعد ظهر اليوم .. هل ستحضر المفتاح معك .؟

– بل سأحضر مفتاحين .. وسوف أخبرك بأمر المفتاح الثاني في فرصة أخرى ..

وفي تمام الساعة الثانية والنصف كانت السيارة تنطلق بقيادة "**ديك**" وبجانبه "**سيبيل**" أما السيد "**هافلوك**" فقد جلس في المقعد الخلفي بين اليقظة والنوم .. ولم يكن أحد من هؤلاء الثلاثة يعرف ما يخبئه القدر له في تلك الرحلة .

- 19 -

وبعد ساعتين من مغادرتهم العاصمة ، بلغوا حدود مزارع "**سيلفورد**" حيث فتحت لهم امرأة بدينة بوابة المزرعة الكبيرة الملحقة بالقصر ، وقال "**هافلوك**" بعد أن أومأ للمرأة يحييها :

- إننا نحتفظ هنا بهذه المرأة ، وبحارس المقبرة وزوجته في داخل القصر، ونستعين كل شهر ببضع نسوة من القرى المجاورة لتنظيفه ، فقد اشترط الأمير الراحل أن يظل القصر نظيفا دائما ..

وعند باب القصر الخارجي ، هرعت زوجة حارس المقبرة لتستقبل السيد "**هافلوك**" وضيفيه ، فلما طلب منها سيدها مفتاح المقبرة أسرعت المرأة إلى الداخل ثم عادت بمفتاح كبير سلمته إلى المحامي وتراجعت في احترام ..

ومضت السيارة متجاوزة حديقة القصر إلى مزرعة صغيرة وراءه ليس بها سوى بضع دجاجات وكلب يحرسها .. وبعد المزرعة انطلقت السيارة في طريق غير ممهد وسط حدائق فسيحة ، فلما تجاوزتها ألفى "**ديك**" نفسه أمام واد ضحل ترتفع جوانبه إلى مدى البصر ، وتمتد على جانبي طريق منه صفوف من أشجار قاتمة ساكنة لا تتحرك أوراقها ولايغرد عليها طير ..

وقالت "**سيبيل**" :

- يبدو أن الجو سيمطر بعد قليل ..

فقال " **هافلوك**" :

– نعم .. إن هذا مؤكد ..

ثم التفت إلى "**ديك**" وقال :

– هل أخبرتك أن "**بيرس**" أجل عودته إلى شهر كانون الأول (ديسمبر) ؟

– فقال "**ديك** " :

– وأين هو الآن ..؟

– إنه في "**القاهرة**" ، ويبدو أنه سيمضي بعد ذلك إلى "**بغداد**" ثم "**طهران**" ثم إنه سيمضي إلى جنوب "**روسيا**" ..

وأمسك "**ديك**" برهة ثم قال :

– يحسن أن نهبط هنا .. إن الميل الأخير المؤدي إلى المقابر لا يصلح لسير السيارات مطلقا ..

وأخذ الثلاثة يسيرون في ممرات ملتوية تحت أشجار قاتمة ساكنة كأن أرواح الموتى قد حلت بها .. وفجأة وصلوا إلى بقعة خالية فسيحة تتوسطها قبة كبيرة من الحجر الصلد ، فأشار "**هافلوك**" إليها قائلا :

– هذه هي المقابر .. لقد وصلنا ..

وبعد بضع خطوات ، بلغوا بابا حديديا ضخما يبدو نصفه الأعلى كنافذة حديدية تكشف عن الظلام الكامن وراءها .

وفتح "**هافلوك**" الباب بالمفتاح الذي معه ثم هبط مع زميليه بضع درجات عدها " **ديك** " فوجدها اثنتي عشرة درجة وبلغوا ردهة نصف مظلمة بها باب حديدي آخر يشبه الباب الأول ، ولما فتحه " **هافلوك** " بالمفتاح ذاته ألفى "**ديك**" نفسه في ممر بين هيكلين .. كل هيكل يحتوي على بضع غرف صغيرة كأنها الصوامع ، وعلى باب كل غرفة حفرت أسماء الذين دفنوا فيها ..

وسار الجميع في الممر يفحصون أبواب الغرف الصغيرة حتى بلغوا نهايته حيث

وصلوا الغرفة الحادية والعشرين ، وعندئذ قال "**هافلوك**" :

– هذا هو الباب الذي اقترحت "**سيبيل**" أن نراه وأن نجرب المفتاح في أقفاله.

ونظر "**ديك**" إلى الباب فوجده مصنوعا من الحجر الصلد ووجد عليه سبعة أقفال واحدا فوق الآخر .. وأدرك الشاب فورا أن هذا هو المكان الرهيب الذي تحدث "**ليوفيني**" عنه والذي حاول أحد الأشخاص أن يستعين به على فتح أقفاله ..

وطرق "**ديك**" الباب الحجري بيده وقال :

– ماذا تحوي هذه الغرفة .. ؟ ألا يعرف أحد .. ؟

فهز "**هافلوك**" رأسه وقال :

– لا .. لا أحد يعرف .. لقد كان هناك باب آخر قديم له سبعة أقفال ، ولكن الأمير " **سيلفورد** " الراحل وضع هذا الباب الجديد ، وهو – بهذه المناسبة – مبطن من الداخل بالحديد الصلب وفي وسطه ثغرة تفتح وتغلق ليرى الإنسان داخل الغرفة الذي لا يدل على شيء ..

وكان " **هافلوك** " وهو يتحدث ، يمد يده إلى وسط الباب ويتحسس بأصابعه في حذر حتى وجد زرا ناتئا ، فلما ضغط عليه فتحت طاقة صغيرة قطرها أربع بوصات .

ورفع "**ديك**" مصباحه الكهربائي ، فأرسل أشعته من الثغرة إلى داخل الغرفة ثم نظر وتأمل برهة ذلك الصندوق الحجري الموجود على أرضها ، وبينما كانت "**سيبيل**" تنظر بدورها . قال هو لـ"**هافلوك**" :

– هل توجد جثة أحد من آل " **سيلفورد** " داخل الصندوق .. أم لعله كنز.؟! فابتسم " **هافلوك** " وقال :

– أما عن الكنز فلا أعتقد أن " **سيلفورد** " الراحل قد ترك شيئا من أمواله

خارج المصارف المالية والمزارع . وأما عن الجثة فقد يكون الأمر محتملا . .

وعندئذ سمع الجميع دوي الرعد القاصف ، ولمع البرق برهة وأضاء المكان إضاءة باهرة مما جعل " **سيبيل** " تقول :

– يبدو أننا سنعود إلى المدينة تحت وابل المطر . .

وقبل أن يجيبها أحد دوى الرعد مرة أخرى ، ولمع البرق ، ثم دوى بانفجار هائل كأنما سقطت صاعقة من السماء فوق المقابر . .

وبدا المكان أشد رهبة في ذلك الجو العاصف ، ولم تملك " **سيبيل**" نفسها من التعلق بذراع "**ديك**" . . وفجأة صافح سمعهم صوت كصرير الحديد عندما يلامس حديدا ، فانطلق "**ديك**" بأقصى سرعته خلال الممر ، فلما بلغ الردهة الخارجية وجد البابين الحديديين مغلقين ورأى في ومضة البرق ، آثار أقدام عارية خارج الباب الداخلي .

- 20 -

وأسرع " **هافلوك**" و " **سيبيل** " فلحقا بـ " **ديك** " ، وكان صوت المحامي يرتعد وهو يقول :

– ماذا حدث . . ؟ من أغلق الباب . . ؟

ولم يجب "**ديك**" وإنما تناول مسدسه بسرعة وأطلق النار مرتين على شبح كان يختفي بين مجموعة أشجار في الناحية الأخرى . . وانقطع وميض البرق وساد الظلام الحالك ، وانهمر المطر الغزير في عنف وقوة . .

وقال "**ديك** " لـ" **هافلوك** " :

– أظن المفتاح معك . . ومن الممكن فتح الباب إذا مددت يدي خارج القضبان ووضعت المفتاح في ثقب القفل وأدرته ولما فتح "**ديك**" الباب بهذه الطريقة قال

لزميليه :

– تقدما أنتما أولا وسوف ألحق بكما حالا ...

وتناول " **هافلوك** " يد الفتاة ومضى بها خارج المقبرة ، وبعد قليل أسرع "**ديك**" وراءهما يفحص الأرض بعينيه في وميض البرق المتتابع . ولم يلبث أن وجد آثار دماء على قطعة أرض خالية من الأعشاب ، ثم رأى آثار الدماء مرة أخرى على حافة غابة كثيفة الأشجار في الناحية المقابلة للطريق الذي أقبلوا منه . .

وهز "**ديك**" رأسه ، ثم أسرع فلحق بـ" **هافلوك** " و **سيبيل** " وعاد بهما إلى القصر ، وهناك تركهما وتسلل عائدا إلى المقبرة بعد أن ظل محتفظا بمفتاح بابيها في جيبه . .

وكان في أثناء عودته يتلفت حوله في حذر ، ويتحسس مواضع قدميه وهو يرهف سمعه لأقل حركة مريبة . . وأخيرا بلغ المقبرة ففتح بابها الأول ثم أغلقه من الداخل ، وكرر هذا العمل في الباب الثاني ، ثم مضى إلى الباب ذي الأقفال السبعة .

ومضى يجرب المفتاحين اللذين معه في هذه الأقفال السبعة ، فوجد أن المفتاح الأول الذي حصلت عليه "**سيبيل**" من البرتغال يصلح للقفل الرابع ، وأن المفتاح الثاني الذي حصل عليه من مفكرة "**كودي**" يصلح للقفل السابع ، وبذلك أدرك أن الباب لايفتح إلا إذا حصل على المفاتيح السبعة ، أو إلا إذا استعمل البارود في نسفه وتحطيمه . .

وخيل إلى "**ديك**" فجأة أن هناك من يراقبه من وراء الباب الخارجي ، ومن ثم وضع المفتاحين في جيبه وأطفأ مصباحه الكهربائي ، ومضى يخطو في سكون وحذر ؛ حتى إذا بلغ الباب الأول ، لمح للمرة الثانية في تلك الليلة شبحا عاريا

يسرع بالاختفاء وراء الأشجار . .

ولم يملك "**ديك**" نفسه من الارتعاد وهو يخطو حذرا في أثناء عودته إلى البيت، لقد بدا المكان له في ذلك الظلام الحالك الممطر الذي يتخلله الرعد والبرق، رهيبا مفزعا مليئا بالأشباح وأرواح الموتى .

وتنهد في ارتياح حين بلغ القصر ، ولم يبال بثيابه المبللة بالمطر وهو يسرع بالفتاة والمحامي إلى سيارته ليعود بهما إلى المدينة . .

- 21 -

وقال السيد "**هافلوك**" لـ"**ديك**" في طريق العودة :

– هل رأيت آثارا أخرى لصاحبنا هذا الذي أغلق الباب علينا . .؟

فأومأ "**ديك**" وقال :

– نعم . . ولكني لم أره إلا وهو يختفي . .

وقالت الفتاة :

– أتعتقد أنك جرحته جرحا بالغا . .؟

فلما أومأ "**ديك**" دون أن يجيب ، قالت ضاحكة في شحوب :

– يبدو أن "**ديك**" لايريد أن يكشف لنا عما وصل إليه بتحرياته .

وغمغم "**هافلوك**" :

– إنني أريد أن يكون الجرح مميتا .

وساد الصمت بينهم حتى بلغت السيارة بهم العاصمة وهناك مضى كل واحد إلى بيته . أسرع "**ديك**" بعد أن أودع سيارته الجراج إلى مسكنه حيث استمتع بحمام ساخن وبعشاء خفيف ، ثم اتصل تليفونيا بالمفتش "**سنيد**" وقال له :

– إنني آسف إذ أيقظتك في هذه الساعة ، ولكن هل يمكنك أن تحضر إلى

مسكني لأخبرك بثلاثة فصول جديدة من اللغز الغامض ..؟

فوافق "**سنيد**" على التو ولم يمض نصف الساعة حتى كان يدق الجرس في مسكن "**ديك**" ، فلما اتخذ مجلسا مريحا في غرفة الاستقبال قال :

– لقد استصدرت أمرا لتفتيش منزل "**ستالليتي**" في الساعة العاشرة من هذه الليلة ؟

فقال "**ديك**" :

– أظن أن الموعد هو الحادية عشرة والربع ..؟

– نعم .. هذا ما أخبرت الضابط به ، ولكن الحذر يلزمنا بتقديم الموعد حتى إذا أبلغ "**ستالليتي**" – بطريقة ما – بأمر التفتيش ، أخذناه على حين غرة، وبهذه المناسبة أرجو ألا تكون قد أخبرت أحدا بهذه القصة ..؟

فقال "**ديك**" :

– أخبرت بها السيد "**هافلوك**" ، وبجزء كبير منها الآنسة "**سيبيل لانسدون**" ..

فدمدم "**سنيد**" وقال :

– لابأس من إخبارك السيد "**هافلوك**" .. أما أن تخبر سيدة فهذا آخر شيء كنت أنتظره منك .. ألم تعلم بعد ما جبل النساء عليه من ثرثرة ؟ حسنا .. والآن ما هي الفصول الجديدة في قصتك هذه ؟

فأخذ "**ديك**" يقص عليه ما حدث في مقبرة "**سيلفورد**" ، حتى إذا ذكر مسألة إغلاق الباب الخارجي عليهم ، فتح "**سنيد**" عينيه في دهشة وقال :

– إذن ، لاشك أن هناك من يحمل مفتاحا ثانيا لباب المقبرة ..

فأومأ "**ديك**" برأسه وختم حديثه قائلا :

– وأؤكد لك أنني فحصت الأقفال السبعة تماما ، وأعتقد أنه لايوجد إنسان

على وجه هذه الارض يستطيع فتح هذه الأقفال بغير مفاتيحها ، ولا شك أن "**ليوفيني**" كان له كل العذر في فشله ..

– آه .. لقد أوشكت على أن أنسى حادثته .. دعني ألق نظرة على المفتاحين ولما فحصهما قال :

– يبدو أنهما صناعة إيطالية .. حسنا .. وهل تعتقد أن ذلك المخلوق العاري هو أحد تجارب اللعين "**ستالليتي**" ..؟

فتمتم "**ديك**" قائلا :

– من يدري ؟ كل شيء يبدو محتملا ..

- 22 -

وقفت سيارات رجال البوليس على بعد نصف الميل من منزل "**ستالليتي**" وبعد أن أمر "**سنيد**" أربعة من رجاله أن يراقبوا المنزل من الناحية الخلفية ، تقدم هو و "**ديك**" وثلاثة من رجاله إلى الباب الأمامي للبيت ..

وفتح "**ستالليتي**" الباب عند الطرقة الثالثة وقال وهو يطرف بعينيه :

– آه .. أهذا أنت ياسيدي المفتش .. آه .. وهذا الذي وراءك الشاب الذي جاء مرة من أجل كتاب ، ومرة أخرى ليحصل على بنزين لسيارته .. تفضلوا بالدخول .. تفضلوا .

ودهش " **ديك**" إذ رأى البيت من الداخل مفروشا بأثاث ثمين فاخر وإن كان التراب يعلو كل شيء .. فقد كانت الستائر من المخمل الثمين ، وكانت الأرض مفروشة بسجاد ناعم تغوص فيه الأقدام ، وكانت غرفة الجلوس تليق بقصر أحد الأغنياء ، وكذلك غرفة النوم ...

وفتش "**سنيد**" ورجاله الغرفتين تفتيشا دقيقا بينما كان "**ستالليتي**"

يثرثر:

- أتظن ياسيدي المفتش أنني أريد تطبيق نظرياتي عمليا .. آه .. لا .. لا .. هذا لايجوز في بلد يحاكم فيها العالم الطبيعي لتشريح بعض الحيوانات الحية .. فما بالك بالإنسان .. ولكن .. آه لو تسمحون لي بطفل صغير إذن لجعلت منه إنسانا نموذجيا في قوة الجسم ..

فقاطعه "**سنيد**" وقال :

- أرجو أن تكف ياهذا عن الثرثرة ؛ وهيا بنا إلى الطابق الثاني ..

وهناك دخل المفتش ورجاله إلى غرفة متوسطة الحجم لم يكن بها سوى فراشين، كل منهما عبارة عن كومة من القطن والأعشاب الجافة وفي غرفة أخرى وجدوا سريرا صغيرا ومنضدة وخزانة حديدية كبيرة ذات صفوف من الأدراج .

وأسرع "**ستالليتي**" ففتح الدرج الأول وقال :

- إذا أردت ياسيدي المفتش أن تفحص أوراقي فجميعها في هذه الأدراج وليس لدي أي مانع ..

فنظر "**سنيد**" في الدرج برهة وقلب بعض الأوراق ، ثم أومأ برأسه وقال :

- أين توجد غرفة المعمل .. ؟

فمضى بهم "**ستالليتي**" إلى غرفة أخرى طويلة في وسطها منضدة مستطيلة تحمل أدوات كيميائية مختلفة ، فلما فتشها "**سنيد**" بعناية ، قال :

- ألا يوجد أحد معك في المنزل ؟

- لا .. إنني أعيش وحيدا ..

- لقد سمع السيد "**ديك**" صيحة غريبة يوم كان هنا ليحصل على بنزين .

فقال "**ستالليتي**" في هدوء :

- إنه خيال .. لقد تخيل هذه الصيحة ولا ريب ..

– ولقد هوجم أيضا في الممر من شخص مجهول عار ..

– خيال آخر . ولكنه أقوى من الأول ..؟

– إن لديك فراشين في غرفة بالطابق الثاني ، فلماذا ؟

– لايعدم الإنسان أن يزوره بعض الأصدقاء لقضاء ليلة أو ليلتين .

فأومأ المفتش برأسه ثم غادر مع رجاله البيت ومضوا بالسيارات مبتعدين عن الناحية ..

وظل " **ستالليتي** " يشيع السيارات بعينيه حتى غابت في جوف الظلام ، وعندئذ عاد إلى الطابق الثاني ومضى إلى الخزانة الحديدية ذات الأدراج المتعددة وقال لنفسه باسما ياله من مفتش .. ! لو كانت لديه ذرة من ذكاء لعلم أن هذه كلها أدراج زائفة ها .. ها .. ها ..

وضغط زرا في ناحية جانبية ، فانفتح باب الخزانة على مصراعيه .

وقال "**ستالليتي**" :

– اخرج يا "**بيبو**" .. لقد حان موعد نومك ..

وخرج ذلك المخلوق الذي كان قابعا داخل الخزانة ، ثم وقف بقامته الطويلة وجسمه القوي يطرف بعينيه كأن الضوء يؤذيهما ..

كان عملاقاعاريا إلا من قطعة قماش حول خصره تخفي عورته ، وكان وجهه القوي تغطيه لحية شهباء تصل إلى ما بعد عنقه بقليل !

وعاد " **ستالليتي**" وقال له بألفاظ يونانية :

– اذهب إلى غرفتك ، ولسوف أحضر إليك اللبن لإطعامك ..

وكان "**ستالليتي**" يقف بعيدا عن ذلك المخلوق الذي ما إن سمع الكلمات الأخيرة حتى مضى متواثبا نحو الغرفة الأخرى ذات الفراشين الحقيرين ..

ومضى " **ستالليتي**" – بعد أن أغلق الغرفة بالمفتاح – إلى الناحية الخلفية من

البيت يحمل في يده سوطا كالذي يستعمل لترويض الوحوش .. ولما وقف تحت شجرة معينة فرقع بالسوط في الهواء وقال : انزل ..

وعندئذ وثب مخلوق آخر أطول من الأول وأقوى ، وقبع عند قدمي الرجل ، فقال له :

– الغرفة .. اللبن .. النوم ..

فوثب المخلوق وانساب في الظلام إلى داخل البيت .

وبعد قليل حمل "**ستالليتي**" صحفة ، عليها وعاءان كبيران من اللبن وصحفتان ممتلئتان باللحم . فلما أطعم المخلوقين العجيبين ، عاد إلى معمله، وانهمك في أبحاثه وكأنما لا يشغل فكره شيء سوى العمل ..

- 23 -

كان " **هافلوك**" يقرأ الخطاب الذي في يده للمرة الثالثة عندما أقبل "**ديك**" عليه؛ فقال له المحامي :

– إنني آسف إذ استدعيتك في هذه الساعة المبكرة .. ولكنني أرجو أن تقرأ هذا الخطاب وتخبرني برأيك فيه ..

فتناول "**ديك**" الخطاب وقرأ ما يلي :

عزيزي "**هافلوك**" .. لقد تسلمت خطابك الخاص بالسيد "**برترام كودي**" ، ولقد دهشت جدا حين علمت أن الرجل ينكر معرفته بي وكتابته لي ، فإنني أذكر تماما أنه أرسل لي خطابا – بعد شرائه الأرض الاسترالية مباشرة – يطلب فيه مني عشرين ألف جنيه على سبيل القرض لأنه كان في أشد الحاجة إلى هذا المبلغ ، وكانت حياته – كما قال – مهددة بالخطر إذا لم يدفع هذا المبلغ في وقت معين .. إنني لا أذكر تفاصيل القصة التي ذكرها

في خطابه ، ولكنني أذكر أنه بعث إلي به وأنني رددت أعتذر له عن عجزي عن دفع المبلغ المطلوب .

وإني أرجو أن ترسل لي مبلغ 25 ألف جنيه أوراقا مالية فرنسية إلى عنواني بفندق "**باريس**" بـ"**دمشق**" ذلك لأني على وشك عقد صفقة رابحة في "**الشرق الاوسط**" ..

وكان الخطاب موقعا باسم "**بيرس**" .

وقال "**ديك**" بعد أن أتم قراءته :

– هل تعودت أن ترسل إليه مبالغ كبيرة كهذا المبلغ ؟

– أحيانا ..

– وهل تنوي إرسال هذا المبلغ له .؟

فعض "**هافلوك**" على شفتيه وقال :

– إنني في الواقع لا أدري .. بل إنني أفكر في نفض يدي من إدارة أملاك "**سيلفورد**" لاسيما بعد الذي حدث أمس في المقابر .. هذا مع العلم بأن مكافأتي تبلغ خمسة آلاف جنيه في العام من هذا العمل ..

فدهش "**ديك**" وقال :

– لاشك أنها أملاك كبيرة جدا ..

– نعم .. وإن ثمنها يزداد يوما بعد يوم .. فأكثر الأراضي التي اشتراها الأمير الراحل عبارة عن مناجم فحم وحديد لا تزال بكرا ..

فسأل "**ديك**" فجأة :

– ومن هو الوارث التالي بعد "**بيرس**" إذا ظل هذا الأخير معرضا عن الزواج..؟

– إنها "**سيبيل لانسدون**" .. فهي أقرب الناس إليه . بل هي وأمها ..

القريبتان الوحيدتان ..

ثم تناول الخطاب وقال :

– إنني أفكر في إرسالك بالمال إلى "**دمشق**" ..

فهز "**ديك**" رأسه قائلا :

– لاسيدي .. حسبي مالقيت في المرة الأولى .. وبهذه المناسبة ، هل سحب "**بيرس**" مبالغ كبيرة جدا خلال السنوات الأربع الأخيرة .؟

– نعم ... لقد سحب مرة مبلغا يقل قليلا عن نصف المليون جنيه .. ولقد احتججت على ذلك أكثر من مرة ، ولكنه ظل يؤكد لي أن أكثر هذا المبلغ أنفق في شراء الأراضي وأسهم في الشركات الصناعية المختلفة .

فنهض "**ديك**" وقال :

– ألا يخالجك أدنى شك في أن هذه الخطابات قد تكون مزورة ؟

فقال "**هافلوك**" مؤكدا :

– هذا هو الشيء الوحيد الذي لا يداخلني الشك فيه .. إن لـ"**بيرس**" طريقة في الكتابة أعرفها تماما .. أعرف خط يده أكثر مما أعرف خط يدي .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فمحال أن ينتحل أحد شخصيته ، ذلك لأن في وجه "**بيرس**" علامة حمراء مستديرة تحت أذنه ، أشبه شيء بالشامة وقد ولد بها .

ثم صمت برهة وعاد فاستأنف الحديث :

– وفي الواقع لقد فكرت كثيرا في هذه الاحتمالات كلها ولكني لم أهتد إلى شيء .. ولولا أنني كنت أراه بين الحين والآخر قبيل هذه السنوات الأربع لازداد قلقي عليه .. وليس لي الآن ما أعمله ... إنني لا أستطيع أن أمنعه من السفر، ولا أستطيع أن أحجر عليه لأن هواية التنقل بين بلاد العالم ليست سببا كافيا

للحجر ... والآن هل أنت واثق يا سيد "**مارتن**" بأنك لاتستطيع السفر إلى "**دمشق**" ؟

– كل الثقة ..

- 24 -

كان عدد السيدات اللاتي يترددن على مكتبة بـ"**يللنجهام**" قليلا جدا ونادرا، ولذلك لم تتمالك "**سيبيل**" نفسها من الدهشة عندما رأت هذه السيدة البدينة الكهلة التي تبدو في ثيابها الفاخرة وحليها الثمينة كأنها امرأة من الطبقة الفقيرة هبطت الثروة عليها فجأة ..

ولقد ازدادت دهشتها عندما تقدمت المرأة إليها باسمة وقالت وهي تمد يدها وتحييها :

– هل أنت يا ابنتي الآنسة "**سيبيل لانسدون**" .. آه لا شك أنك أنت .. فإنك تشبهين المرحوم والدك تماما ..

وتمتمت الفتاة بكلمات ترحيب قليلة وقدمت للسيدة مقعدا وهي تحاول أن تخفي دهشتها ... واستطردت السيدة قائلة :

– إنني زوجة السيد "**برترام كودي**" .. ولقد كان زوجي صديقا مخلصا للمرحوم والدك .. واليوم فقط طلب إلي وأنا أتاهب للحضور في سيارتنا الرولز أن أمر عليك وأدعوك إلى زيارتنا لأن زوجي يريد أن يحدثك في أمر مهم جدا يتعلق بوالدك المرحوم .

فقالت "**سيبيل**" في شبه ذهول :

– إنني ... إنني لم يسبق لي شرف التعرف بزوجك المحترم ...

– آه .. بلاشك .. لقد كنت طفلة عند وفاة أبيك .

ولكن زوجي يعرفك تماما . . سأل عنك وعرف أنك تعملين سكرتيرة في هذه المكتبة . . ولقد كان يود لو استطاع أن يحضر بنفسه إليك ، ولكنه مشغول جدا . . وهو إذا كنت لاتعلمين دكتور . . دكتور في الآداب والقانون . .

فتمتمت "**سيبيل**" :

– ولكن . . ألا يمكن أن يتصل بي دكتور "**كودي**" تليفونيا ويحدثني بما يريد . . ؟

– لا . . لا . . يا عزيزتي . . إن الامر أخطر من ذلك . . ثم ما الضرر في أن تشرفينا بالزيارة . . إن سيارتنا الفخمة تنتظرنا خارج المكتبة . . وإنه ليسرنا جدا أن تتناولي الشاي معنا هذا اليوم . . وبهذه المناسبة فقد أكد زوجي عليّ أن أسألك كتمان هذا الأمر عن الجميع . .

– ولماذا ؟!

– لأنه لا يتعلق بحياتك فقط . . وإنما يتعلق أيضا بحياة رجل آخر يدعى "**ديك مارتن**" كان يشتغل مفتشا مساعدا بإدارة البوليس . . ولقد حاول بعض الأشخاص اغتياله ، ولا أدري هل عرفت هذه المسألة أم لا . .

ففكرت الفتاة برهة ثم نظرت إلى التليفون الذي أمامها وقالت :

– حسنا . . لسوف أمضي معك . . إن موعد انصرافي يحل بعد ربع الساعة

فأشرق وجه السيدة ومدت يدا تزين أصابعها الخواتم الماسية وقالت :

– إذن فسأنتظرك في السيارة الرولز حتى تلحقي بي . . وتأكدي أنك ستسرين جدا بما سيخبرك به زوجي . .

ولما غابت المرأة ، اتصلت "**سيبيل**" تليفونيا بمنزلها ولكنها لم تجد أمها في المسكن ثم تذكرت أنها ذهبت لزيارة بعض الأصدقاء ولن تعود قبل الثامنة مساء . .

وقبل أن تغادر مكتبها اتصلت بمسكن "**ديك**" . ولكنها لم تجده أيضا . ومن ثم هزت كتفيها ومضت إلى خارج المكتبة حيث وجدت السيدة "**كودي**" داخل سيارة سوداء فاخرة ، وما كادت المرأة ترى الفتاة حتى فتحت لها الباب بنفسها واستقبلتها في ترحاب قائلة :

– أرجو أن تكوني قد أخبرت والدتك تليفونيا بأنك ستتأخرين قليلا عن موعدك . . .

فلما أخبرتها الفتاة بأنها لم تجد أمها في البيت ارتسمت على شفتي المرأة ابتسامة ماكرة وقالت :

– إذن أرجو أن تكوني قد تركت رسالة لإحدى صديقاتك

– فهزت "**سيبيل**" رأسها نفيا مرة أخرى وقالت :

– لقد حاولت أن أتصل بـ . . بصديق ، ولكنه لم يكن موجودا أيضا في مسكنه فأومأت السيدة للسائق "**تومي كاولر**" أن ينطلق ، ثم تراخت في مقعدها وقالت :

– أنصحك يا ابنتي أن تكوني أكثر حذرا في المستقبل يجب أن تبذلي كل جهدك لتتركي رسالة لأمك إذا اضطرتك الظروف إلى التأخر عن موعد عودتك، إنك لاتعرفين مدى ما يصيب الأمهات من قلق لغياب أبنائهن . .

- 25 -

قال السيد "**برترام كودي**" وهو يستقبل "**سيبيل**" في غرفة مكتبه :

– آه . . مرحبا يا عزيزتي "**سيبيل**" . . أظن أنك لاتذكرينني . .؟

فقالت الفتاة وهي تجلس إلى المقعد الذي قدم إليها :

– نعم يا دكتور " **كودي**" . . الواقع أنني لا أذكر تماما . .

ـ حـــسنا .. حـــسنا .. إن هـذا لايهـم .. ولكـن المهـم هو أن أؤدي كـل مـــا أستطيع تأديته من خير لابنة صديقي العزيز .

ثم التفت إلى زوجته وقال :

ـ لاشك أن الآنسة متعبة بعد هذه الرحلة ، ويحسن أن تجهزي لنا الشاي الآن يا عزيزتي " **مارتا**" .

وألقت السيـدة " **كـودي**" على زوجـهـا نظرة تحذير وشـك ثـم مضت وأغلقت الباب وفي الردهة الأمامية اعترض " **تومي كاولر**" سبيلها وقال :

ـ من هذه الفتاة الجميلة يا خالتي ..؟

فقطبت السيدة جبينها وقالت :

ـ إنني لست خالتك الآن .. إنني سيدتك .. لاتنس هذا ؟

فابتسم الشاب في سخرية وقال :

ـ حسنا ياسيدتي .. من تكون هذه الفتاة الجميلة ؟

ـ إنها الفتاة التي كان السيد "**كودي**" يتحدث عنها دائما .

ـ وماذا يريد منها ..؟ إنني أصبحت أشك في كل ما يحدث هنا ..

ـ وما شأنك أنت بهذا كله ..؟

ـ لايهـمـني مـا يحـدث لـك ولا لزوجك الخـبـيـث ، ولكـني لن أسـمح لأحـد منكـما أن يؤذي هذه الفتاة ..

ولما اشتـد غضـب المرأة ، أسرع الشاب مبـتعدا عنها ومضى ليـشرب نصيبه من الشاي في المطبخ ..

وبعـد أن قدمـت السـيدة "**كـودي**" الشاي إلى زوجـها و " **سيـبيـل**" معـتذرة بأن خـدم البـيـت جـمـيـعـا في إجـازة بأمـر "**كـودي**" عـادت وغـادرت الغرفـة بعـد أن عاودت تحذير زوجها ..

وحاولت "**سيبيل**" أكثر من مرة أن تحول مجرى الحديث إلى المسألة التي حضرت من أجلها ، ولكن الرجل كان في كل مرة يخلق موضوعا آخر للحديث.. وأخيرا قالت له في صراحة :

– أرجو يا دكتور "**كودي**" أن تتفضل وتحدثني عن الموضوع الذي استدعيتني من أجله ..

فابتسم الرجل وقال :

– آه .. نعم ..نعم .. ولكن لماذا التسرع لماذا لاتقضين ليلتك معنا هنا .. ؟

– إنني لم أخبر أمي بذلك .. ثم إنني على موعد معها للذهاب إلى السينما في السابعة من هذا المساء ..

وكانت عبارتها الأخيرة كذبة اختلقتها بعد أن بدأ الشك يخامرها .. ولقد ازداد شكها وخوفها عندما قال الرجل :

– هذه مسألة بسيطة .. لسوف أذهب و أتصل بوالدتك تليفونيا وأدعوها لقضاء الليلة معنا . إنها نزهة جميلة ..

وبلغ فزعها مداه عندما عاد الرجل يفرك يديه قائلا :

– لقد رحبت والدتك بالفكرة وقالت إن تذكرتي السينما يمكن استعمالهما غدا وهي الآن في طريقها إلينا ..

لقد أدركت "**سيبيل**" فورا أن الرجل كاذب لأن والدتها لم تكن موجودة في البيت في ذلك الوقت ، ولأن تذكرتي السينما ليستا غير خدعة ابتكرتها ..

وتمالكت نفسها بجهد عنيف ونهضت قائلة :

– هل يمكن أن .. أن .. أن أخرج إلى الحديقة قليلا لأشاهد المناظر المحيطة بالبيت ..؟

لقد كانت ترجو أن يتسنى لها الفرار إذا كانت خارج البيت .. ولعلها

تستطيع أن تبلغ إحدى القرى المجاورة لتستغيث بأهلها ..

ولكن الرجل قال :

– آه .. لابأس .. ولكن أرض الحديقة موحلة .. فما رأيك لو أخذتك لتشاهدي غرفات البيت ومداخله ؟!

ثم تناول قدحها وقال :

– ولكن .. يجب أولا أن تتمي شرب قدحك .. لقد برد الشاي .. آه .. انتظري حتى أملأه لك شايا ساخنا .

ومدت الفتاة يدها وهي في شبه ذهول .. ولما تناولت بضع جرعات من الشاي خيل إليها أن مذاقه مختلف ، ولم تكن تدري سر هذا الاختلاف .. أهو لما تشعر به من خوف وفزع ، أم لسبب آخر ..؟

وكان "**كودي**" في تلك اللحظة واقفا وظهره إليها يقلب في بعض الأوراق ، فلما استدار رآها تترنح شاحبة الوجه ثم تتهالك في مقعدها فاقدة الرشد ..

- 26 -

وأسرع "**كودي**" فغادر الغرفة ثم أغلق بابها ، وقبل أن يهم بالصعود إلى الطابق الثاني ليستدعي زوجته ، تقدم "**تومي كاولر**" منه وقال له وهو يضع يديه في جيبه :

– اسمع يا سيد "**كودي**" .. إن السيارة في انتظار هذه الفتاة الجميلة لأعود بها إلى العاصمة ..

فاربد وجه "**كودي**" غضبا وقال :

– وما شأنك أنت بهذا أيها المجرم ..؟

– إنني لا أنكر أنني مجرم .. ولا أنكر أيضا أن جزءا كبيرا من إجرامي ورثته

عن خالتي .. خالتي التي هي زوجتك وكان "**كاولر**" يتساءل دائما عن السبب الذي جعل رجلا ثريا مثل "**برترام كودي**" يتزوج من امرأة وضيعة النشأة مثل خالته "**مارتا**" .. هذا وإن كان يعلم في قرارة نفسه أن خالته امرأة تعرف كيف تضع الخطط لاقتناص الأموال ..

وقال الرجل في لهجة حازمة :

– إذا كنت تعتقد أن قرابتك لزوجتي تعطيك الحق في محاسبتي عن كل صغيرة وكبيرة فاعلم أنك مطرود .. أفهمت ..؟ !

فتناول "**كاولر**" لفافة أشعلها وقال وهو ينفث دخانها :

– أحب أن أخبرك أنك لا تستطيع أن تطردني الآن .. إنني أعلم عنك أمورا تكفي لإرسالك إلى المشنقة ..

وهدأ "**كودي**" في الحال عندما سمع السائق يتكلم بلهجة الواثق بنفسه ، ومن ثم قال في لين وعطف :

– اسمع يا "**تومي**" .. إن آخر شيء يصح أن تفكر فيه هو أن ترتاب في سلوك خالتك لاتنس أنها بذلت في سبيلك وسبيل أخيك الراحل كثيرا ..

فابتسم "**كاولر**" وقال في حزن :

– لاتذكر أخي إذا سمحت .. إنه – كما تعرف – توءمي .. ولقد فرقت خالتي بيننا وأنا في السادسة من عمري ولست أدري ماذا حدث له حتى الآن..

فقال "**كودي**" مؤكدا وفي دهشة :

– ماذا حدث له .. ؟ لقد مات با لتأكيد ..

– آه .. هذا ما تقوله خالتي .. أما الحقيقة فلا يعلمها غير الله .. إن خالتي امرأة قاسية شريرة ملعونة . أقول هذا لك ولها في مواجهتها ، وأنا لا أنسى ما لقيته وأخي على يديها على الرغم من هذا المال الذي تفيضان به

علي الآن . . . إنني أشم رائحة الجريمة في هذا البيت ، والدليل على ذلك مغادرة الخدم جميعا للبيت في إجازة لمدة يومين بناء على أوامرك .. ثم هذه الفتاة الجميلة .. ماذا تنوي أن تفعل بها .؟ يجب أن أعرف .. إنني لن أسمح لك !

وعندئذ لم يتمالك "**كودي**" زمام غضبه فانطلق مدمدما ثائرا إلى غرفة زوجته، وهناك أغلق الباب عليه وعليها ثم اشتبك معها في مناقشة عنيفة غاضبة .

وبعد عشر دقائق غادرت المرأة غرفتها ومضت بمفردها إلى غرفة المكتب حيث كانت "**سيبيل**" تستعيد رشدها شيئا فشيئا ..

وجذبت السيدة "**كودي**" الفتاة الذاهلة من ذراعها ، ومضت بها إلى الطابق الثاني حيث أودعتها غرفة صغيرة تحتوي على فراش مثبت في أرضها ومائدة متوسطة الحجم ومقعد ..

واستلقت الفتاة على الفراش متعبة منهوكة الأعصاب ومضت فترة وهي في شبه غيبوبة ، فلما أفاقت شعرت كأن رأسها سينفجر وأن الغرفة تدور بها ..

وحانت منها نظرة إلى إناء ماء على منضدة صغيرة بجانب الفراش وبجوار الإناء زجاجة صغيرة فيها أقراص الأسبرين .

وتناولت "**سيبيل**" قرصين فابتلعتهما بجرعة ماء ، ثم تراخت تستريح وتنتظر مفعول المسكن حين يسري في دمائها ويخفف من حدة صداعها ..

وكان الظلام قد بدأ ينساب في الغرفة، وكانت تحاول أن تستعيد ما حدث لها وأخيرًا تمتمت :

يالي من طفلة غريرة يسهل خداعها .. !



- 27 -

ولما فتحت عينيها بعد ساعة أو أكثر قليلا ، وجدت الغرفة مضاءة بقنديل زيتي صغير موضوع فوق المائدة المستديرة .. فنهضت من فراشها مترنحة وأخذت تفحص الغرفة ، كان بها باب واحد حاولت أن تفتحه فعجزت .. وكانت بها نافذة عالية عليها قضبان حديدية ، فلما وقفت على المقعد وأرسلت بصرها خلال القضبان رأت المزارع تمتد وراء حديقة البيت سابحة في ضوء القمر ومدت يدها وفحصت القضبان فإذا هي مثبتة لا سبيل إلى زحزحتها ، فتنهدت من قلب كله خوف وعادت إلى الباب وحاولت مرة أخرى أن تفتحه ولكنها وجدته مغلقا برتاج قوي من الخارج ، وركعت على ركبتيها وحاولت أن تنظر من الجزء الواقع بين نهاية الباب وأرضية الغرفة – وكان متسعا بعض الشيء – بيد أنها لم تستطع أن ترى شيئا ..

وأخيرا عادت إلى فراشها ووضعت رأسها بين راحتيها وأخذت تفكر في أمها وفي "**ديك مارتن**" ، وفي الأسابيع الأخيرة التي قلبت حياتهاالهادئة رأسا على عقب ..

وفجأة سمعت صرير المفتاح في الباب ، ثم ما لبثت أن وجدت السيد "**كودي**" يتقدم نحوها – بعد أن أغلق الباب وراءه – وقد حمل في يديه سجلا وقلما ، ولما جلس بجانبها قال باسما في عطف :

– إنني لم أكن أعلم ياعزيزتي أنك مصابة بداء الصرع .. لقد فقدت وعيك فجأة ثم أخذت تصرخين وتبكين وتتلوين على الأرض ..

فنظرت الفتاة إليه في هدوء وقالت :

– أحقا .. إنني إذن آسفة ؟

فقال والابتسامة لاتزال على شفتيه :

– ولهذا كتبتُ إقرارا لك تعترفين فيه بأنك جئت إلى هنا بمحض إرادتك وأنك تعانين حالة الصرع هذه وأننا لم نرغمك على شيء ولم نسئ إليك في شيء . . .

فقالت وهي تحاول أن تسيطر على أعصابها :

– أتريد مني أن أعترف بأني مجنونة . . ؟

– لا . . لا . . أبدا . . وإنما هي مسألة شكلية فقط . إنني أرجو أن توقعي على هذا الإقرار سريعا قبل أن تحضر والدتك إنها الآن في طريقها . .لقد اتصلنا بها مرة أخرى منذ لحظات وذكرنا لها حالتك فقالت إنها ستكون هنا بعد ساعة ونصف الساعة ، فاضطربت "**سيبيل**" ولم تدر هل الرجل صادق هذه المرة أم كاذب كعهده . . . وقبل أن تجيبه ، استطرد قائلا :

– ولكنني أحب أن أصارحك بشيء يا عزيزتي . . إنني لن أسمح لك بالعودة مع أمك حتى توقعي على هذا الإقرار . . إنني لا أستطيع أن أتحمل المسؤولية وأدركت الفتاة أن احتجاجها لن ينفعها ولما كانت تتلهف على مغادرة البيت بأي وسيلة ، فقد قالت :

– حسنا . . . ولكن ألا أقرأ هذا الإقرار قبل توقيعه . . ؟

فتناول الرجل صفحة في حجم الفولسكاب وأدناها من عيني الفتاة وقال باسما :

– إنها عبارات قانونية قد لا تفهمينها ، ثم إنك ستحتاجين إلى ساعة كاملة لقراءتها لأن الكلمات فيها – كما ترين – صغيرة متزاحمة . . فلم كل هذا العناء . . . ؟

وعبثا حاولت الفتاة أن تقنعه ليسمح لها بقراءة الإقرار ، فلما يئست قالت وهي تتناول القلم :

– حسنا . . هاتها لأوقع عليها . .

ووضع الرجل الورقة فوق المنضدة وجعل أصابعه فوق أسطر الكتابة ، ولم يترك للفتاة إلا الجزء الخالي لتضع عليه توقيعها ، وقبل أن توقع "**سيبيل**" باسمها لمحت من بين أصابع الرجل هذه الكلمات " وإني لأتنازل عن كل ما أملك إلى السيد "**برترام**" .

فألقت بالقلم وهتفت :

– إنني لن أوقع على شيء لم أطلع عليه ..

ولما رأى الرجل إصرارها ، زم شفتيه وجمع أوراقه وقال وهو يغادر الغرفة:

– حسنا .. إذن فاعلمي أنك ستبقين هنا بدون ماء أو طعام حتى تموتي جوعا أو تخضعي لأوامري ..

وعادت "**سيبيل**" فوضعت رأسها بين يديها ، وكاد أن يغمى عليها وهي تسمع صرير الرتاج خارج الباب .. وأخيرا لم تجد أمامها إلا الاستلقاء على الفراش .. ولكنها حاولت النوم عبثا .

وأخذت الساعات تمضي واحدة في إثر الأخرى وهي ساهرة لا يغمض لها جفن.. وفجأة نهضت جالسة وقد خيل إليها أنها تسمع وقع أقدام عارية تتسلل خارج باب الغرفة .. وظل قلبها ينتفض في عنف وهي تنصت إلى هذه الأقدام المتسللة .. وكادت تصدر عنها صيحة فزع رهيب عندما رأت إصبع قدم كبيرة عارية ملطخة بالدماء وهي تبدو تحت عقب الباب ، وحين سمعت من يعالج الرتاج ويحاول فتح الباب لم تدر كيف وثبت مسرعة نحو المائدة المستديرة فحملتها وجعلتها وراء الباب ثم جعلت حافتها تحت المزلاج حتى لا يستطيع المتسلل أن يديره إذا استطاع معالجة الرتاج ..

ووقفت بجانب فراشها تلهث من فرط الخوف وتحدق إلى تلك الإصبع الرهيبة البادية أسفل الباب .. وفجأة رأت أصابع يد قوية تمسك الباب من أسفله كأنها

أصابع عملاق يحاول أن ينتزع مصراع الباب كله من مكانه . . .

وصرخت الفتاة فزعا وطارت إلى المقعد فوثبت عليه فإذا بها ترى وراء النافذة الحديدية وجها شاحبا يطل عليها . . وكان وجه "**كاولر**" السائق .

- 28 -

كان ذهاب "**ديك مارتن**" إلى مكتبه بـ"**يللنجهام**" في ذلك اليوم محض مصادفة . . ذلك أنه شعر بأن اليوم الذي لايرى فيه "**سيبيل**" هو يوم لا يحسب من حياته . .غير أن أمله لم يتحقق عندما علم أن "**سيبيل**" قد غادرت المكتبة مع سيدة كهلة بدينة بادية الترف والثراء في سيارة من نوع الرولزرويس . وشعر "**ديك**" برغبة قوية تدفعه إلى الذهاب إلى منزل السيدة "**لانسدون**"عسى أن يجد "**سيبيل**" ويسعد معها ببضع لحظات . . ولكنه لم يستطع أن يحقق رغبته هذه إلا بعد أن تجاوزت الساعة الثامنة مساء . فلما ذهب ولم يجد الفتاة ، أخفى ضيقه بمهارة وظل يحدث والدتها في موضوعات عامة أملا في أن تحضر الفتاة من لحظة لأخرى . . فلما مضى أكثر من ساعة تجرأ وقال :

– يبدو أن "**سيبيل**" قد تأخرت الليلة .

فابتسمت السيدة "**لانسدون**" وقالت :

– لقد اتصلت تليفونيا ببواب البيت في غيابي وقالت إنها قد تتأخر إلى ما بعد الغروب . . لعلها تقضي وقتها كعادتها مع صديقتها الحميمة "**ماري**" . .؟

فقال "**ديك**" :

– وهل "**ماري**" هذه سيدة كهلة غنية . تمتلك سيارة رولز؟

فضحكت السيدة وقالت :

– لا . . مطلقا . . إنها مثل "**سيبيل**" . . ولكن لها عمة غنية . . لماذا . .؟

فذكر لها "**ديك**" ما سمعه في المكتبة ، فقالت السيدة "**لانسدون**" :

– لعل "**ماري**" لم تستطع أن تحضر لسبب ما فأرسلت عمتها لتصحب "**سيبيل**" إليها ..

وأخيرا لم يجد "**ديك**" بدا من مغادرة البيت .. وأخذ يتسكع على مقربة منه نحو نصف الساعة دون أن يلمح الفتاة وهي عائدة ، فمضى إلى مسكنه وأغلق أبوابه ووضع وراء كل باب جرسا كهربائيا ثم تناول عشاءه وقرأ لمدة ساعة ونصف ثم آوى إلى فراشه ولم يدر كم مضى عليه في نومه عندما سمع جرس التليفون يدق .. ولم يلبث أن انتصب في فراشه والعرق البارد يتصبب من جبينه عندما سمع صوت المتحدث يهتف مضطربا :

– النجدة يا سيد "**مارتن**" .. النجدة .. إنهم سيقتلونني .. النجدة .

وحاول "**ديك**" أن يسأل المتحدث ولكنه فوجئ بصيحة رعب هائلة ثم انقطع الحديث فجأة وساد السكون ..

ولما كان الحديث قد وصله عن طريق " **الترنك**" فقد اتصل بعامل التليفون وسأله :

– من أين حدث الاتصال التليفوني الآن .؟ أسرع وأخبرني .. إنني "**ديك مارتن**" من رجال "**اسكتلنديارد**" " ..

فقال العامل :

– إنه من مقاطعة "**سكس**" .. وإذا سمحت بالانتظار لحظة فسأخبرك عن مكانه بالضبط ..

– حسنا .. أسرع ..

وبعد دقيقة واحدة عاد العامل يقول :

– إنه من ناحية "**ويلد**" الجنوبية بمقاطعة "**سكس**" .

فهتف "**ديك**" :

– إذن اتصل فورا بإدارة البوليس في مركزك وأخبرهم أن يرسلوا رجالا منهم إلى بيت السيد "**برترام كودي**" في "**ويلدهاوس**" .. إن هناك اضطرابا عنيفا ..

وعندما اتصل بمنزل المفتش "**سنيد**" وسمع صوته يرد عليه ، تنهد في ارتياح وأخبره بما حدث ..

- 29 -

وختم حديثه مع المفتش قائلا :

– لا . إن سيارتي أسرع من سيارتك .. ولسوف أمر عليك بعد دقائق معدودة..

وقبل أن يغادر مسكنه فوجئ برؤية السيدة "**لانسدون**" تقبل عليه شاحبة مضطربة تقول :

– السيد "**مارتن**" .. إن "**سيبيل**" لم تعد حتى الآن .. ولقد اتصلت تليفونيا بالآنسة "**ماري هورنز**" صديقتها في الثانية عشرة مساء فعلمت أنها لم تقابل "**سيبيل**" ولم ترها مطلقا طوال اليوم .

فقال "**مارتن**" وهو شديد القلق :

– لعلها ذهبت مع .. صديقة أخرى ..

– لا أعتقد .. ليس لها صديقات أخريات سوى اثنتين ، ولقد اتصلت بهما فقالتا إنهما لم تقابلا "**سيبيل**" اليوم .. أما السكرتيرة المساعدة في المكتبة فقد قالت إن المرأة الكهلة البدينة كانت تبدو – رغم ثرائها – من نساء الطبقة الفقيرة في طريقة حديثها و ...

فهتف "**مارتن**" وهو يسرع نحو جراج سيارته :

– إنها إذن السيدة "**كودي**" .. حسنا .. يمكنك أن تمكثي في مسكني يا سيدة "**لانسدون**" حتى أعود ..

فقالت السيدة :

– لا .. بل سأمضي إلى مسكني .. عسى أن أجد "**سيبيل**" قد حضرت ..

فصحبها "**ديك**" في سيارته إلى منزلها ثم أسرع إلى بيت المفتش "**سنيد**" وانطلق الاثنان مع رجلين من رجال "**اسكتلنديارد**" في طريقهم إلى ناحية "**ويلدهاوس**" بأقصى سرعة ..

وقال "**ديك**" في أثناء الطريق :

– لقد طلبت من عامل التليفون أن يخطر مركز البوليس لإرسال بعض الرجال إلى البيت ،

فقال "**سنيد**" :

– وأغلب الظن أن أحدا لن يذهب .. إنهم لا يستطيعون أن ينتقلوا إلى بيت من البيوت بناء على أوامر صادرة من عامل تليفون .. أظن أن "**ويلدهاوس**" يقع في أملاك "**سيلفورد**" فلما أومأ "**ديك**" برأسه قال المفتش مستطردا :

– إنني لم أر "**سيلفورد**" الشاب الذي يتجول في أنحاء العالم كاليهودي التائه أرأيته أنت يا "**ديك**" ..؟

– رأيت صورة له .. ولسوف أخبرك بأمرها في وقت آخر ..

وانطلقت السيارة مجتازة بيت "**ستالليتي**" ، ثم وقفت أخيرا أمام بيت "**برترام كودي**" ...

وهبط الجميع وطرقوا باب البيت الساكن دون أن يسمعوا مجيبا ، فتناول "**ديك**" آلة حادة من سيارته وفتح بها مصراع نافذة ودخل منها مع "**سنيد**" ورجلي البوليس وفي الردهة الأمامية عثر "**ديك**" على زر النور الكهربائي فلما

أضاءه ، قال وهو يتشمم المكان :

- إنني أشم رائحة دماء بشرية ..

وقبل أن يجيبه "**سنيد**" لمح أحد رجلي البوليس جثة ملقاة على السلم الملحق بالردهة والمفضي إلى الطابق العلوي .. وفحص "**سنيد**" الجثة وقال :

- إنها السيدة "**كودي**" كما ترى .. ولقد ماتت من الرعب .. نعم .. الرعب وحده هو سبب وفاتها .. لقد رأيت حالتين من هذا النوع من قبل .. وترك أمام الجثة رجلا من رجاله ومضى مع "**ديك**" إلى غرفة مكتب السيد "**كودي**" وهناك وجدا جثة ملقاة أمام المكتب وقد تهشم الرأس بضربة قضيب حديدي ، وكانت سماعة التليفون لا تزال في يده .. فقال "**ديك**" :

- نعم .. لقد قتل وهو يتحدث إليّ .. لقد سمعت صيحة ..

فقال "**سنيد**" لرجل البوليس الثاني :

- إن في الردهة آلة تليفون ثانية ، أسرع واستدع ضابط مركز "**ويلدهاوس**" وبعض رجاله ، ثم اطلب من "**اسكتلنديارد**" أن ترسل مصورا وخبير بصمات.

وبعد أن خرج الرجل لينفذ الأوامر ، أخذ "**ديك**" و"**سنيد**" يفحصان المكان في دقة وعناية ، وفجاة انطفأ النور من البيت كله ، فقال "**ديك**" وهو يتناول مسدسه الاوتوماتيكي من جيب والمشعل الكهربائي من الجيب الآخر :

- يبدو أن إطفاء النور لم يكن مصادفة .. وأغلب الظن أن القاتل مختبئ في مكان ما بالبيت ... فلنكن على حذر .

وأسرع رجل البوليس عائدا وقال :

- لقد انقطع الخط التليفوني قبل أن أتم حديثي مع "**اسكتلانديارد**" وأعتقد أن شخصا ما قطع الأسلاك ..

فقال "**سنيد**" :

– اسرع الآن وابحث عن لوحة أزرار النور وحاول أن تصلح ما فسد منها ... وعليك أن تكون متأهبا لكل مفاجأة ..

ومضى "**ديك**" و"**سنيد**" بعد ذلك يفحصان أرضية المكان بمصباحيهما الكهربائيين .. ولقد لاحظ "**ديك**" وجود بقعة دم على السجادة في الردهة الأمامية .. ثم لاحظ وجود بقعة أخرى على السلم المفضي إلى الطابق العلوي .. وفي الردهة الثانية وجد قطعة ثياب قذرة بالية ملطخة بالدماء .. ثم وجد بجانبها آثار قدم عارية ملطخة بالدماء ..

وفجأة تمتم :

– لعل هذه القطعة القذرة هي الضمادة التي ضمد بها ذلك العملاق العاري الجرح الذي أصبته به في حادث المقبرة أمس ..

فقال "**سنيد**" :

– إن كل الدلائل تدل على أن القاتل رجل عار من الثياب يستعمل في قتله الطرق البدائية ، ولعل منظره وحده كافيا لموت السيدة "**كودي**" .. انظر ..

فنظر "**ديك**" إلى حيث أشار "**سنيد**" ، وعندئذ رأى باب غرفة مخلوعا من مصراعيه ، فلما دخلها مع المفتش ، انحنى على الأرض والتقط منديلا صغيرا فحصه بقلب واجف فإذا عليه الحرفان الأوليان (س . ل)

- 30 -

هتف "**ديك**" وهو يجول في الغرفة بعينيه :

– لقد كانت إذن هنا .. يا إلهي .. ماذا حدث لها ؟ هل يمكن ..

فأمسك "**سنيد**" بذراعه وأشار إلى النافذة العليا وقال :

– انظر .. لعلها هربت من هذه النافذة .. إنني أرى مصراع القضبان

مفتوحا.. كما أني لا أجد آثار دماء غزيرة أو ما يدل على وقوع جريمة قتل هنا..

فوثب "**ديك**" على المقعد الموضوع تحت النافذة ثم نظر خلالها فرأى سلما حديديا مسندا إلى الجدار بجوارها ، وبعد أن أومأ برأسه إلى المفتش تسلل من النافذة ووقف على النتوء العريض البارز من البناء تحتها ثم مد يده وقدمه إلى السلم في الوقت الذي استطاع فيه المفتش أن يتدلى بدوره إلى النتوء رغم بدانته..

ولما هبطا إلى أرض الحديقة قال "**ديك**" :

– هذا يدل على أنها تلقت مساعدة خارجية .. ولكن إلى أين ذهبت ؟ إنها لم تعد إلى البيت ؟ لأن هذه الحديقة لا تفضي إليه .. لقد فحصت هذه النواحي عندما زرت البيت أول مرة .. إن هذه الحديقة تؤدي إلى بستان أزهار ، ثم يتفرع الطريق في اتجاهين ، أحدهما إلى الحديقة الأمامية للبيت ، والآخر إلى المزارع والغابات الممتدة ..

وقبل أن يعلق "**سنيد**" على حديث زميله بشيء إذا بطلق ناري يدوي ..

وإذا أزيز الرصاصة يصفر بين رأسيهما ، فانبطح "**سنيد**" على وجهه وهمس:

– انبطح يا "**ديك**" .. إذا أردت أن تعيش وفجأة خيل إلى الرجلين أن الجحيم قد فتحت أبوابه ، ذلك أن وابلا من الرصاص راح ينهمر فوقهما فترة قصيرة، ثم سكن كل شيء ...

وتمتم "**سنيد**" ..

– عليهم اللعنة .. أهي فرقة جيش تطلق النار ..

فقال "**ديك**" :

– من المحتمل أن يكون مطلق النار رجلا واحدا يحمل مسدسين أوتوماتيكيين

في كل واحد عشر رصاصات .

وظل الرجلان برهة في مكانهما ثم واصلا الزحف في الظلام .. وأخيرا نهض "**ديك**" وقال :

– يبدو أن صاحبنا أفرغ ما في مسدسيه وهرب .. وعندئذ انطلق في وجهه تماما مسدس القاتل ..

- 31 -

وركع "**ديك**" وهو يتحسس وجهه ، وأخيرا اطمأن إلى أن الرصاصة التي انطلقت أمام وجهه لم تمس خده إلا بحروق خفيفة .. فلما حاول أن يسرع وراء القاتل ، تعثر مرتين في أسلاك مشدودة بين الأشجار ، وعندئذ أمسك "**سنيد**" بذراعيه وقال :

– لا فائدة من محاولة اللحاق به الآن .. إنني أسمع سيارة تقترب من البيت .. هلم بنا .. لعلها سيارة رجالنا ..

وأسرع الاثنان إلى حيث وجدا عشرة من رجال المباحث مع المصور الجنائي وخبير البصمات ، ولم تنقض دقائق معدودة ، حتى كان النور يضيء البيت كله وأصلحت أسلاك التليفون مرة أخرى ، وكان رجال المباحث موزعين في أنحاء البيت يبحثون ويتحرون تحت إشراف المفتش "**سنيد**" ..

وفي غرفة السيدة "**كودي**" الخاصة ، عثر "**ديك**" تحت فراشها على صندوق خشبي أنيق مزخرف ، فلما فتحه أمام المفتش ، إذا بداخله مفتاح ثالث يشبه في صغر حجمه وغرابة شكله المفتاحين اللذين يحتفظ بهما "**ديك**" .. وكان مع المفتاح حزمة من الأوراق والخطابات المختلفة ، ومن ثم قال "**سنيد**" وهو يفحصها :

– إن القاتل الذي لم يترك شيئا من أوراق "**كودي**" الخاصة ، لم يكن يخطر بباله أن يكون لدى السيدة "**كودي**" أوراق تحتفظ بها تحت الفراش وقرأ "**ديك**" خطابا بخط صبياني موقعا باسم "ابنك العزيز "**أدي كاولر**.." فهتف "**سنيد**" :

– آه .. السائق .. لقد نسيناه .. أين هو اللعين .. ربما كان .

فقال "**ديك**" في هدوء :

– إن السائق يدعى "**تومي كاولر**" .. وأعتقد أنه أبعد ما يكون عن ارتكاب مثل هذه الجرائم .. أما "**أدي كاولر**" هذا فأغلب الظن أنه شقيقه التوءم الذي قيل إنه مات في الثامنة من عمره ثم مد يده في الصندوق وتناول خطابا ثانيا وقال :

– إن هذا الخطاب مكتوب بخط "**برترام كودي**" .. ولكنه موقع باسم "**هربرت برترام**" ..

فقال "**سنيد**" :

– "**هربرت برترام**" .. ؟! .. إنني أذكر هذا الاسم ... إن صاحبه حكم عليه بتهمة ما منذ عشر سنوات أو اثنتي عشرة سنة .. ماذا يقول فيه ؟

فقرأ "**ديك**" الخطاب الذي ورد فيه :

" عزيزتي "**مارتا**" .. لقد علمت اليوم من "**ستالليتي**" أن الأمير "**سيلفورد**" مريض جدا .. ولذلك فإنني في أشد الحاجة إلى أن تزوديني بمعلومات أخرى ..

فتمتم "**سنيد**" :

– "**برترام كودي**" .. "**ستالليتي**" .. "**مارتا**" .. التي تزوجها "**كودي**" فيما بعد الأمير " **سيلفورد**" الراحل .. كلهم تجمعهم حلقة واحدة . فما معنى هذا .؟

وعاد "**ديك**" يفحص محتويات الصندوق ثم قال :

– وهذه شهادة زواج "**برترام كودي**" من "**مارتا**" .. إن شاهدي الزواج "**ستالليتي**" ورجل آخر يدعى "**جون براون**" ..

فقال "**سنيد**" :

– من يكون "**جون براون**" هذا ؟! ومتى تم الزواج ..؟

– بعد ثمانية أشهر من وفاة الأمير "**سيلفورد**" ..

ففكر "**سنيد**" برهة ، وأخيرا هز رأسه وقال :

– والآن .. ماذا سنفعل ..؟!

– لقد خطر لي أن نمضي فورا إلى قصر مزرعة "**سيلفورد**" إنه لا يبعد عن هذا المكان إلا ثلاثة أميال ..

– ولماذا .. ماذا تظننا سنجد فيه .؟!

– أعتقد أننا سنجد شيئا على كل حال ..

ووافق "**سنيد**" أخيرا ، وبعد أن ألقى بتعليماته إلى رجاله ، مضى مع "**ديك**" إلى قصر مزرعة "**سيلفورد**" سيرا على الأقدام ، ذلك لأن "**ديك**" وجد جميع إطارات عجلات سيارته ممزقة بآلة حادة ..

- 32 -

كادت "**سيبيل**" تقع مغشيا عليها من هول الموقف ..

فقد كان الباب وراءها يوشك أن ينتزع من مصراعيه بيد ذلك المجهول الرهيب، وكان أمامها وجه شاحب يطل عليها في رعب .. من الخارج .

وفجأة رأت مصراع النافذة الحديدي يفتح وسمعت صوت صاحب ذلك الوجه يقول :

– هيا يا سيدتي .. أسرعي .. إنني لن أوذيك ..وفي الوقت الذي وصلت فيه

"**سيبيل**" إلى السلم المسند بجوار النافذة بمعونة "**كاولر**" السائق ، سمعت صوت الباب وهو ينتزع من جوانبه .. فهمس "**كاولر**" لها وهو يعدو معها في ممرات الحديقة المظلمة :

– آه لو كنت أستطيع أن أصل إلى السيارة .. ولكن هذا محال ليس أمامنا إلا أن نهرع إلى " **سيلفورد بارك**" ..

فتمتمت الفتاة وقد عاودها الفزع :

– "**سيلفورد بارك**" ؟!

– نعم .. هناك ، في سياجها ثغرة خفيفة أعرف مكانها .. إنها الملاذ الوحيد الذي نستطيع أن نهرب من خلاله ..

فقالت الفتاة بعد أن هدأ روعها قليلا :

– ماذا حدث ؟ من هو صاحب هذه اليد والإصبع الملوثة بالدماء ..؟!

فقال "**كاولر**" وهو يعدو بجانبها :

– لست أدري تماما .. ولكني حين سمعت صيحة السيد "**كودي**" ، أدركت أن الأمور ليست على ما يرام ، ومن ثم أسرعت إليك من النافذة .. إنني أعرف مداخل البيت ومخارجه تماما منذ جئت لأعمل مع خالتي ..

– خالتك .. ؟!

– نعم .. إن السيدة "**كودي**" هي خالتي .. عليها اللعنة .. أرجو أن يكون قد أصابها ما أصاب زوجها .. لقد عذبتني طويلا مع شقيقي "**أدي**" .. لقد مات في الثامنة كما يقولون .. ولا شك أنه سعيد بموته .. هذا وإن كنت أظن أن .. ولكن لا .. إن هذا لا يهمك .

فقالت الفتاة وقد رأت أن الحديث يخفف كثيرا من فزعها :

– وهل عشت مع خالتك منذ ذلك الحين ..؟

– لا .. لقد فررت منها ... ولأكذب عليك يا آنسة لقد سرقت من السيارات عدد شعر رأسي ، ولقد سجنت ست عشرة مرة ، ولما علمت أنني إذا سرقت مرة أخرى فسيحكم علي بالسجن عشر سنوات ، أقلعت عن هذه الهواية الخطرة والتحقت بخدمة خالتي التي لا أدري كيف اقتنصت السيد "**كودي**" هذا زوجا لها ... آه ... هاهي الثغرة في السياج .. إن القاتل لن يستطيع أن يلحق بنا الآن ...

– فقالت الفتاة وهي تدخل إلى الحدائق الواسعة من خلال الثغرة :

– إنك لم تخبرني من يكون صاحب اليد القوية الملطخة بالدم .. ؟

– إنه عملاق عار تقريبا ، لا أدري أين يعيش ، ولا من أين يأتي ..

لقد رأيته مرة واحدة منذ أسابيع ، وكانت كافية لأن تبعث الرعب في نفسي بضعة أيام .. ويخيل لي أنه مجنون ..

وفجأة توقف عن الحديث وأرهف أذنيه ثم قال وهو يقبض بيده على القضيب الحديدي الذي كان ممسكا به ...

– أسرعي أنت واستمري في العدو .. الزمي الناحية اليمنى دائما ، فإن في الناحية اليسرى طريقا وعرا يطل على هاوية شديدة الخطر طالما سقط الناس فيها أثناء الليل .. أما أنا ، فسأبقى هنا حتى أعترض طريق ذلك الوحش الآدمي ..

وحاولت الفتاة أن تعترض ، ولكنه دفع بها وجعلها تعدو مسرعة ، ثم استلقى هو على الحشائش تحت شجرة كبيرة ، وأمسك بالقضيب الحديدي في يده ، وبقي ينتظر دون أن يشعر بأدنى خوف ..

وظل الشاب منبطحا متحفزا حتى إذا رأى شبح ذلك العملاق يقترب منه على غير هدى ، وثب من مكانه وأهوى عليه بالقضيب الحديدي .. وكانت "**سيبيل**" في أثناء عدوها السريع تسمع وراء ظهرها أصوات اثنين يتعاركان في

عنف وشدة..

وظلت الفتاة تعدو بكل ما في ساقيها من قوة ، وكانت تنطلق أحيانا بين صفوف من أشجار قاتمة ، وأحيانا بين ممرات ملتوية في الوادي الضحل ، وفجأة ألفت نفسها في بقعة خالية فسيحة تسبح في ضوء القمر الغارب ، وكان أمامها مباشرة باب مقبرة "**سيلفورد**" ..

وتوقفت الفتاة برهة وشعرت أنها على وشك الإغماء ولكنها حين سمعت حفيف أقدام عارية تسرع وراءها ، تجلدت وأسرعت إلى باب المقبرة فرأته مفتوحا والمفتاح في قفله ، فانطلقت داخله وأغلقت الباب ثم مدت يدها وأدارت المفتاح من الخارج ثم انتزعته .. وكانت في هذه الأثناء تسمع غمغمة ودمدمة مبهمة مختلطة بصوت يشبه البكاء والشهيق ..

وتلمست طريقها في الظلام الحالك إلى الردهة الوسطى المفضية إلى صفوف القبور . وبينما كانت تسمع الغمغمة والدمدمة تقترب من الباب الخارجي ، دفعت بيديها بين قضبان الباب الداخلي لتفتحه وعندئذ أطلقت صيحة فزع حينما شعرت بيد باردة تقبض على يدها .

- 33 -

وحاولت الفتاة – بدافع الخوف المميت – أن تخلص يدها من هذه القبضة الباردة القوية ، وفجأة سمعت صوتا أجش يهمس :

– هدئي من نفسك يا فتاتي .. إنني لن أوذيك ..

تعالي ..

وهدأت الفتاة فجأة عندما سمعت ذلك الصوت الآدمي ، ثم فتح الباب وأضيء مشعل كهربائي صغير رأت في نوره الخافت رجلا كهلا قصيرا مجعد

الوجه طويل اللحية ..

قال لها الرجل وهو يسير بها في الممر بين غرفات المقبرة :

– من أنت يا فتاتي الصغيرة ؟! ولماذا جئت ، وما الذي أتى بك هنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟.

فتمتمت الفتاة وهي تشعر بفقد إرادتها أمام عينيه الضيقتين القويتين .

– إن .. هناك .. مخلوقا رهيبا .. يطاردني .. في الخارج .

– آه .. ها .. مخلوق رهيب .. بل قولي إنه مخلوق غبي .. نعم غبي .. لقد حاولت أن أجعل منه إنسانا نموذجيا ، فماذا كانت النتيجة ؟ عضلات قوية .. وعقل ضعيف .. إن الحيوية موزعة على الجسم بنسبة معتدلة فإذا قويت العضلات ، ضعف العقل والعكس صحيح .. نعم .. ولكن .. لشد ما تمنيت لو أني طبقت تجاربي على طفلة .. طفلة صغيرة .. ولكنكن معشر النساء ضعيفات لا تتحملن هذه التجارب .. لقد مات مني ثلاثة أطفال ..

وكان وهو يتحدث يعالج فتح باب غرفة مجاورة للباب ذي الأقفال السبعة ، وفجأة التفت إلى الفتاة وقال :

– اجلسي أيتها المرأة .. إنني لا أحب النساء الطويلات .. إنهن يشعرنني بقصر قامتي وضعفي أمامهن ما اسمك ؟

– "**سيبيل لانسدون**" ..

– آه ها .. "**سيبيل لانسدون**" .. ترى .. ماذا يكون الحال لو أني زوجت واحدا من مخلوقاتي لفتاة ذكية جريئة مثلك ؟ لا شك أن .. أن .. آه .. ها .. ها ..

ثم مد يده وتناول من جيبه الداخلي قرصين لونهما أحمر قدمهما للفتاة وقال وهو يحدق إليها بقوة :

– ابلعي هذين القرصين .. ابلعيهما هياهيا ..

وحاولت "**سيبيل**" أن تتخلص من هذه السيطرة القوية المشعة من عيني الرجل ولما لم تستطع ، مدت يدها بالقرصين إلى فمها ، ولكنها بدلا من أن تبتلعهما ، جعلتهما بين أسنانها ..

وابتسم الرجل وأومأ راضيا ، ثم استدار ودخل إلى الغرفة رقم 20 وعندئذ لفظت "**سيبيل**" القرصين إلى يدها :

وفي لحظة أخرى وجدت في نفسها الشجاعة للوثوب ثم الانطلاق وفتح الباب الخارجي للمقبرة قبل أن يلحق بها الكهل الملتحي .. فقد رأت أن تفر من خطر محقق إلى خطر محتمل ..

وكانت وهي تنطلق إلى الوادي الضحل عبر الممرات الملتوية وتحت الأشجار القاتمة الساكنة ، تفكر في "**ديك مارتن**" وتتمنى لو كان بجانبها يحميها ويذود عنها كل هذه المخاطر ..

وخطر لها في تلك اللحظة أن تمضي في سبيلها إلى قصر مزارع "**سيلفورد**" ومن ثم لزمت الطريق نفسه الذي أقبلت فيه مع "**ديك**" و"**هافلوك**" عند زيارتهم للمقبرة أول مرة ..

وبعد فترة وجيزة ، بلغت تلك المزرعة الصغيرة حيث سمعت كلبا ينبح في تحد لها ، ولما كانت "**سيبيل**" من الفتيات اللاتي يعرفن كيف يعاملن الكلاب في رفق وعطف ، فقد مضت نحو الكلب بشجاعة ومسحت على رأسه ثم فكت نهاية السلسلة المشدود إليها ومضت معه نحو القصر في كثير من الاطمئنان..

وحين بلغت بوابة القصر الأمامية ، فتحت الباب في رفق ، وولجت الحديقة والكلب يتقدمها في طرف السلسلة وعندئذ سمعته يهمهم عندما اقترب من

نافذة أرضية عليها قضبان من حديد ومصراع زجاجي ، ولقد آنست من نفسها شجاعة كافية لتتقدم في حذر نحو تلك النافذة بعد أن وضعت يدها على فم الكلب لكي تمنعه من النباح ...

وكادت أن تطلق صيحة رعب أخرى وتسابق الريح لولا أنها تجلدت وظلت في مكانها ترقب مشدوهة ما في داخل الغرفة ...

– لقد رأت رأس رجل ضخم عليه شعر غزير كأنه لبادة أسد ، ولقد رأت هذا الرأس يبرز مع الكتفين من وراء مدفأة كبيرة بجانب الغرفة وأخيرا برزت بقية الجسم فإذا هي ترى عملاقا نصف عار له شعر أصفر غزير على رأسه ووجهه، يحمل في يده مصباحا صغيرا ، ويتقدم إلى ناحية من الغرفة دون أن يرى هذه التي تراقبه من الخارج .

وكانت الفتاة تتأمل بعينين جاحظتين جسم العملاق القوي وقد برزت عضلاته حتى كأنها خطوط نافرة من حبال معقدة .. وفجأة أطفأ العملاق المصباح .. وساد الغرفة الظلام ... وقبل أن تستدير ، سمعت وقع أقدام تقترب منها ، فهتفت :

– من القادم . ؟ حذار أن تقترب خطوة أخرى ..

وكم كانت دهشتها وسعادتها عندما سمعت صوت "**ديك مارتن**" يهتف بدوره:

– الحمد الله .. لقد وجدتك أخيرا ..

- 34 -

وقف المفتش "**سنيد**" يحك رأسه وينظر في شيء من الصبر والاحتمال إلى "**ديك**" والفتاة وهما يتعانقان ويتبادلان قبلات يعبران بها عن سعادتهما بالنجاة

واللقاء .. وأخيرا قال "**ديك**" وهو يمسح على رأس "**سيبيل**" :

– لا شك أنك جائعة بعد هذا كله .. لا تلفظي بكلمة حتى تنعمي بطعام دافئ وشاي ساخن ..

فقالت الفتاة متمتمة وهي تشير إلى النافذة الحديدية :

– لقد رأيت في هذه الغرفة .. رجلا .. رجلا رهيبا عملاقا نصف عار .

فقال "**سنيد**" وهو يمط شفتيه .

– لعله متشرد تعود قضاء الليل في هذا القصر الخالي ..

وعندئذ أقبل "الحارس" الذي يحرس القصر فقال له "**ديك**" :

– هل ينام هنا أحد ..!

فأجاب الرجل:

– كلا يا سيدي .. إنني أنام وزوجتي في كوخ على حافة الحديقة الخلفية ماذا حدث ..!

فقال المفتش :

– تقدمنا إذن إلى داخل القصر .. إننا نريد فحص بعض الغرفات ..

وفي الغرفة التي أشارت الفتاة إليها أخذ "**ديك**" يدق على الجدران بأصابعه ويقول مازحا :

– أظن أن هذا القصر مملوء بالممرات السرية كجميع القصور التاريخية ..

– يقال إن به ممرا سريا واحدا ولا أحد يعرف عنه شيئا سوى سيدي الأمير الراحل ..

فقال "**ديك**" :

– مهما يكن من أمر ، فإن جدران هذه الغرفة لا تدل على وجود ممر سري بها .. هلم بنا إلى غرفة أخرى حيث تتناول هذه الآنسة بعض الطعام والشاي ..

وبعد أن أكلت "**سيبيل**" بنهم شديد ، وأدفأت جسمها المقرور بقدحين من الشاي ، مضت تقص على "**ديك**" والمفتش ما حدث لها منذ أن غادرت المكتبة مع السيدة "**كودي**" حتى جاءت إلى ذلك القصر ..

ولما أتمت حديثها سألها المفتش .

– وهل معك القرصان اللذان أعطاهما إليك الرجل الملتحي ؟ إنه "**ستالليتي**" اللعين ..

فقالت الفتاة :

– لا .. للأسف .. لقد ألقيت بهما وأنا أغادر المقبرة ..

– حسنا .. لسوف نحصل على الزجاجة كلها حين نقبض على الشيطان المجرم ..

وفجأة سمع الجميع صوت سيارة مقبلة ، فأطل "**ديك**" من النافذة وقال وهو يرسل بصره في ضوء الفجر الشاحب :

– عجبا .. إنه السيد "**هافلوك**" .. ويبدو عليه الاضطراب الشديد ..

- 35 -

كان أول سؤال ألقاه "**هافلوك**" عندما مضى "**ديك**" لاستقباله هو :

– أين "**سيبيل لانسدون**" .. ماذا حدث ؟

– إنها هنا .. بخير ..

– هل أنت واثق أنها بخير ..؟!

– كل الثقة ..

فتنهد الرجل وقال وهو يتناول خطابا من جيبه :

– شكرا لله ..

فسأله المفتش :

– لماذا .. ؟! ماذا حدث .. وما الذي دعاك للمجيء في هذه الساعة المبكرة ؟

فأجاب "**هافلوك**" على ذلك بأن مد يده بالخطاب إلى المفتش الذي راح يقرأ بصوت مسموع ..

" عزيزي "**هافلوك**" "

إنني لا أستطيع أن أشرح لك كل شيء في هذا الخطاب .. ولكن يكفي أن أقول إن لدي أسبابا قوية تحملني على الاعتقاد بأن ابنة عمي "**سيبيل لانسدون**" ستكون موجودة في الصباح الباكر في نواحي مزرعتي ، فأسرع إليها واجعلها هي ومن معها يقضون هذا اليوم كله في القصر ..

إن خطرا شديدا يحيق بها وبمن معها ، وبك أيضا ..

وأنا أستحلفك بالله أن تسرع وأن تبذل جهدك لكيلا تغادر "**سيبيل**" وأمها القصر حتى أجيء إليكم غدا في السادسة صباحا .. "

وكان الخطاب مكتوبا على ورقة من أوراق فندق "**ريتز كارلتون**" .. وقال "**هافلوك**" يشرح الأمر :

– لقد اتصل بي "**سيلفورد**" في الثانية صباحا وقال إنه أرسل لي خطابا مع رسول خاص وضعه في صندوق بريدي ، ولقد طلب مني أن أقرأ الخطاب وأن أعمل بما ورد فيه بغير تراخ ولا إبطاء ..

فقال المفتش :

ألم تتصل بإدارة "**اسكتلنديارد**" في هذا الشأن ؟

– كان يجب أن أفعل هذا .. ولكني حين اتصلت بالسيدة " **لانسدون**" وعلمت منها أن صديقنا "**ديك مارتن**" ذهب ليبحث عن "**سيبيل**" ، شعرت بالاطمئنان على سلامتها ورأيت أن أعرض الأمر عليه أولا .. إنها هنا .. بخير..

أليس كذلك..؟

ففتح "**ديك**" باب غرفة الفتاة وتقدم مع " **هافلوك**" الذي أشرق وجهه بالرضا حين رأى الفتاة جالسة في هدوء وتراخ .

وأسرع "**ديك**" بمفرده إلى المقبرة ، ثم إلى البقعة التي قالت " **سيبيل**" إن المعركة قد وقعت فيها بين " **تومي كاولر**" والعملاق المجهول ، ولكن لم يجد أحدا في المقبرة ، ولم يجد جثة "**كاولر**" أو جثة العملاق . أو أي آثار تدل على أن أحدا جر جثة ما فوق الحشائش ، على أنه وجد بقعا من الدماء هنا وهناك فوق الأعشاب ..

ولما عاد وأعلن عن فشله في العثور على شيء له قيمته ، قال"**هافلوك**" :

– إنني أقترح أن أذهب وأعود بالسيدة "**لانسدون**" لنقضي اليوم جميعا هنا حتى السادسة صباحا .. وأظن أن المفتش "**سنيد**" لا يعارض في استدعاء عشرين رجلا من رجاله لحراسة القصر ..

فابتسم "**ديك**" وقال :

– أتعتقد أن ماورد في الخطاب له دلالة حقيقية ..؟

فقال "**هافلوك** " مؤكدا :

– كل الاعتقاد .. لقد مات أكثر آل "**سيلفورد**" في حوادث غريبة .. وإنني لأخشى ..

فقاطعه "**سنيد**" قائلا :

– إنني لا أجد مانعا من تنفيذ اقتراح السيد "**هافلوك**" فالواقع أنني في أشد الحاجة إلى بعض ساعات من النوم استعدادا لمواصلة التحقيق في مقتل "**كودي**" وزوجته ..

وأظن أن الآنسة "**سيبيل**" نفسها في حاجة إلى الراحة ..

فقال "**ديك**" :

– إذن فسأذهب وأخبر السيدة " **لانسدون**" تليفونيا بما تم الاتفاق عليه .

وقبل أن يمضي التفت إلى "**هافلوك**" وقال باسما :

– أتعتقد أن في القصر ممرات سرية ؟

فضحك "**هافلوك**" – رغم قلقه – وقال :

– لقد سمعت عن هذه الأسطورة .. ولكنني أذكر لك أنه ليس ثمة ممرات سرية في القصر ، لقد عهدت منذ سنوات إلى ثلاثة من أكبر مهندسي المباني بالكشف عن هذه الممرات فلم يجدوا مايدل على وجودها ..

- 36 -

وبعد أن استراح المفتش "**سنيد**" فترة قصيرة، أسرع إلى "**ويلدهاوس**" حيث أشرف على التحقيق، وهناك علم أن رجاله لم يجدوا "**تومي كاولر**" السائق، ولا دكتور "**ستالليتي**" .. وقال "**ديك**" له حين عاد:

– لا شك في أن "**ستالليتي**" قد علم بأن الأمور لا تجري على هواه، فانتهز أول فرصة وفر هاربا بعد أن حمل معه جميع الأوراق الخاصة به.. ولما أقبل "**هافلوك**" عليهما قال له "**ديك**" :

– لقد اتصلت بفندق "**ريتز كارلتون**" فقيل لي إن "**بيرس سيلفورد**" لم ينزل بالفندق منذ سنوات.. فقال "**هافلوك**" :

– إنه كان يرسل لي كثيرا من الخطابات على أوراق تحمل اسم فندق "**نيويورك**" دون أن يكون نازلا به..

– ألم تعرف من أين اتصل بك تليفونيا..؟

– لقد اتصل بي من الخارج.. ولكنه لم يخبرني أين يقيم. وأغلب ظني أنه

في "**دمشق**"، وأنه سيستقل طائرة الرابعة صباحا؛ ليصل إلى "**لندن**" غداً في الخامسة تماما..

- إنني أرجو أن يكون المفتش "**سنيد**" قد أمر باستدعاء حرس كاف.. فطمأنه "**سنيد**" من هذه الناحية، ثم قال:

- هيا بنا نهيئ غرفة مناسبة للآنسة "**سيبيل**" ووالدتها، ويجب أن نفحص جدران الغرف فحصاً جيداً، وكذلك أبوابها ونوافذها.. وانطلق الرجال الثلاثة يجوسون خلال غرفات القصر، ويقيسون بعض جدران الغرف من الداخل والخارج حتى وقع اختيارهم على غرفة كبيرة في أول الطابق الثاني كانت تستعمل كغرفة استقبال في عهد الأمير الراحل.. ولم يترك "**ديك**" شبراً في أرض الغرفة ولا جدرانها دون أن يفحصه بعناية واهتمام.. كما امتحن القضبان الحديدية الموضوعة على النافذة الوحيدة واطمأن إلى متانتها.. ثم هبط مع "الحارس" إلى قبو القصر حيث وجد مخزنا للشراب، وبعض الأثاث العتيق المهمل.. فلما لمح ثلاث زجاجات كبيرة في ركن المخزن، أشار إليها وقال للرجل:

- وماذا في هذه الزجاجات..؟ أهي مغلقة؟

- إن فيها شراباً جديداً، لقد أرسله السيد "**هافلوك**" منذ ثلاثة أيام.. غادر "**ديك**" القبو مع الرجل، ولكن لم يلبث أن تسلل بمفرده، وفتح جزءاً من طرف إحدى الزجاجات ثم مد يده إلى داخله، وعاد فرفعها وشم أطراف أصابعه.

لم تكن الرائحة تمت إلى الشراب بصلة. وفي الحديقة الخلفية للقصر التقى بـ"**سيبيل لانسدون**" وهي تروح وتغدو في شبه تفكير، فلما رأته قالت باسمة:

- إن أمي المسكينة مستغرقة في النوم بعد أن ظلت ساهرة طول الليل من أجلي.. يا إلهي! لشد ما تحبني. فابتسم وقال وهو يسير بجانبها:

– وأنت. هل نلت كفايتك من الراحة. وهل استرددت هدوءك بعد الذي عانيته..؟ فرفعت الفتاة عينيها إليه وقالت:

– ألا تلاحظ أنني أكثر ثباتا وهدوءاً من السيد "**هافلوك**" المسكين الذي يرتعد كالأرنب الخائف؟ ترى لماذا يصر على أن نقضي اليوم والليلة هنا؟

– هل هو حقًّا يتبع تعليمات وردت إليه من "**بيرس سيلفورد**" كما سمعت؟

– هكذا يقول.. ولكنني أعجب لما يعتريه من خوف شديد.

– إنه يخاف من ذلك المدعو "**ستالليتي**"..

– كيف عرفت..؟

– لقد أسر إلي بذلك.. العجيب أن هناك بعض الرجال لا يجدون مانعًا من سرد مخاوفهم للنساء.. وأعتقد أن السيد "**هافلوك**" واحد من هؤلاء، لقد قال إن "**ستالليتي**" شيطان في هيئة إنسان.. ولكن الذي يدعو إلى دهشتي البالغة هو شدة حرصه على سلامتي.. فابتسم "**ديك**" وقال:

– ألا يخطر السبب على بالك..؟

– لقد فكرت طويلا فلم أهتد إلى جواب مقنع..

– ألا تعرفين أنك الوارثة الوحيدة لـ"**بيرس سيلفورد**"، وأن هذه الثروة العريضة ستؤول إليك بعد وفاته.؟

فتوقفت "**سيبيل**" ثم رفعت وجهها وقالت لاهثة:

– ولكن هذا بعيد الاحتمال.. من يدري. لعل "**بيرس**" قد تزوج وأنجب أطفالا. أو لعله سيتزوج يوما. إنه لايزال في أوج شبابه. فتمتم "**ديك**" كأنه يخاطب نفسه:

– إنني أشك في ذلك..

– في أي شيء..؟

– في أنه على قيد الحياة.. بل لعله في الموت يكون أسعد حالا منه في الحياة..

ولم تستطع "**سيبيل**" أن تقول شيئا عندما رأت وجه "**ديك**" الشاحب المضطرب.

- 37 -

وقبل أن يتابع "**ديك**" سرد أفكاره بصوت مسموع. رأى "**هافلوك**" مقبلا عليه فمضى إليه وقال:

– متى تتوقع حضور "**بيرس سيلفورد**"؟

– أتوقع حضوره في السادسة والنصف صباحا.. هذا إذا كان سيحضر كما وعد.. إنني أرجو من الله أن يأتي.. لسوف ألقي إليه بزمام هذه الأملاك اللعينة، وأنفض يدي منها إلى الأبد.. ثم نظر إلى السماء وقال:

– ها هي الشمس تنحدر نحو المغيب.. ترى ماذا سيحدث عندما تشرق على الكون مرة أخرى..؟

فابتسم "**ديك**" وقال:

– أرجو أن تشرق على حل لكل هذه الألغاز.. ثم أرسل نظرة جانبية إلى "**هافلوك**" وقال:

– ما رأيك لو ذهبنا إلى المقابر مرة أخرى، عسى أن نجد فيها "**ستالليتي**" أو "**تومي كاولر**". فقال "**هافلوك**" مرتعدا:

– أظن أن الأمر لا يحتاج إلى هذه المخاطرة، ثم إن الآنسة "**سيبيل**" ووالدتها قد تكونان في حاجة إلينا في أية لحظة..

– إنهما في حراسة كافية، ثم إن "**سيبيل**" قالت إنها ستأوي إلى الفراش مع

أمها في ساعة مبكرة.. ولعلهما قد أوتا فعلا.. هيا بنا لنرى.. ولما بلغا واجهة القصر، رفع "**هافلوك**" عينيه إلى غرفة الأم وابنتها وقال:

– هل فحصت قضبان هذه النافذة بعناية يا سيد "**مارتن**"؟ أرجو ألا تكون قد تركت شيئا للظروف..

– لا.. لم أترك شيئا.. إن سلامتهما تهمني.. جداً.. ثم استدعى أحد الحراس المكلفين بحراسة السلم وسأله:

– هل أوت كل من الآنسة وأمها إلى غرفتهما..؟ فقال الحارس:

– نعم يا سيدي.. ولقد أغلق المفتش الباب عليهما بالمفتاح واحتفظ به معه.. فالتفت "**ديك**" إلى "**هافلوك**" وقال:

– والآن وقد اطمأننا عليهما أرجو أن تأتي معي إلى "**سيلفورد بارك**"؛ لتشرح لي طبيعة المكان، فقد أحتاج إلى هذه المعلومات فيما بعد..

وسار الرجلان معا حتى غابا عن القصر يتحدثان حينا، ويتأملان المناظر المختلفة أحيانا.. فلما أطبق الظلام عادا إلى القصر حيث قال لهما أحد الحراس:

– لقد أطلت السيدة "**لانسدون**" منذ نصف الساعة، وطلبت إلينا أن نوقظها في السادسة صباحا..

فأومأ "**ديك**" إليه ومضى مع "**هافلوك**" إلى حيث كان المفتش "**سنيد**" جالسا يستريح في إحدى الغرف.. وأخذ الرجال الثلاثة يقطعون جزءا من الليل في الشراب والحديث. وقال "**هافلوك**":

– الشيء الذي يحيرني هو علاقة "**كودي**" بمشكلة آل "**سيلفورد**"؟ فقال "**ديك**":

– لقد قلت لي مرة إنك أرسلت "**بيرس**" في طفولته إلى مدرسة خاصة لم يمكث فيها طويلا.. فهل تذكر اسم صاحب هذه المدرسة..؟ فعقد الرجل

جبينه وقال:

– أذكر أن اسمه.. كان "**هربر**".. "**هربرت**".. "**هربرت برترام**".. فقال المفتش "**سنيد**":

– إن "**هربرت برترام**" هو نفسه "**برترام كودي**" لقد حكم عليه بالسجن مرة متهما بالاحتيال.. ولما خرج من السجن غير اسمه الأول وصار يدعى "**برترام كودي**".. وقال "**ديك**":

– وهل تذكر أنه كان للأمير "**سيلفورد**" الراحل ممرضة تدعى "**مارتا ديكنز**"؟ إنها هي نفسها السيدة "**كودي**".. إن الذي قتل "**كودي**" أخذ معه جميع الأوراق الخاصة به. ولكنه لم يكن يدري أن امرأة مثل "**مارتا**" تحتفظ برسائلها وأوراقها في صندوق خشبي تحت فراشها.. ومن هذه الأوراق عرفنا أنها تزوجت "**برترام كودي**" بعد وفاة "**سيلفورد**" بثمانية أشهر.. فتمتم "**هافلوك**":

– يا إلهي.. ! كيف لم أكن أعرف كل هذا؟! وقال المفتش:

– من كان الطبيب الخاص للأمير "**سيلفورد**"؟

– إنه كان الدكتور "**جون بودلر**"..

– ألم تكن تعرف أن هناك طبيبا آخر كان يعالجه من الإدمان؟

– لقد سمعت بشيء من هذا القبيل.. ولكني كنت أحسب أن "**جون بودلر**" هو نفسه الذي كان يعالجه من هذا الداء..

– لا.. لقد كان دكتور "**ستالليتي**"..

ثم تناول من جيبه الخطاب الذي وجده في صندوق السيدة "**كودي**" وسلمه إلى "**هافلوك**" الذي قال بعد أن قرأه:

– ولكن ما علاقة هذا كله بـ"**بيرس سيلفورد**" ورغبته في الابتعاد عن وطنه والتجول في أنحاء العالم.. إنني كلما أمعنت التفكير في هذا الأمر ازددت حيرة

ودهشة.. فقال "**ديك**":

– لا شك في أن الأمير "**سيلفورد**" الشاب سيكشف لنا عن كل شيء حين يأتي في السادسة غدا.. ثم نظر في ساعته وأردف:

– هيا بنا لنختلس لحظات من النوم.. لقد بلغت الساعة الآن الثانية صباحًا.. وإنني لأشعر بتعب شديد..

فنهض "**سنيد**" بعيداً عن منضدة الشراب. وألقى بجسمه الضخم على مقعد مريح بجانب المدفأة، وقال:

– هذا هو مكاني المختار الليلة، ولن تستطيع فرق البوليس كلها أن تزحزحني عنه.

- 38 -

عندما اطمأن "**ديك**" إلى "**هافلوك**" أوى إلى غرفته وأغلق بابها عليه، تسلل إلى الطابق الأسفل حيث وجد "**سنيد**" في انتظاره بالردهة، وتهامس الاثنان قليلا ثم افترقا. أما المفتش فقد وقف وراء باب الغرفة التي رأت "**سيبيل**" فيها الرجل العملاق نصف العاري، وأما "**ديك**" فقد وقف على حافة النافذة من الخارج يحدق داخل الغرفة من خلال فروج الستائر.. ومضت دقائق لا يدري "**ديك**" لها عددا، ولكنها كانت كأنها ساعات وهو واقف في سكون وانتظار.. وفجأة رأى المدفأة الكبيرة في الغرفة تتحرك ويبرز منها شيئا فشيئا ذلك العملاق الضخم بوجهه الكبير، ولحيته المسترسلة، وعينيه الواسعتين وكأنهما لطفل أبله.. وكاد "**ديك**" يطلق صيحة دهشة عندما لمح ذلك العملاق يتجه نحو باب خزانة مثبت في الجدار فيفتحه ويتناول بضع دمى أطفال راح يتأمل فيها ويقلبها بين يديه في ابتسام ومرح.

وفجأة أعاد العملاق هذه الدمى وأسرع فاختفى عندما سمع شخصا يدق على باب الغرفة ويقول:

– من هناك؟ وهبط "**ديك**" محنقا، وهرع إلى "**سنيد**" وقال له في غيظ:

– لماذا طرقت على الباب؟ لقد جعلته يختفي قبل أن يتسنى لي معرفة كل شيء.. فقال "**سنيد**" وهو يدخل الغرفة معه:

– لقد سمعت في داخلها صوت إنسان يتحرك.

ولما حاول الاثنان أن يزحزحا المدفأة عبثا، قال "**ديك**" وهو يتأمل بعينيه الدمى الموضوعة في خزانة الجدار..

– انتظر أنت هنا يا سيدي المفتش، ولسوف أمضي وأتحرى الأمر في الخارج.

وأسرع "**ديك**" يجري بين المزارع والأشجار حتى بلغ الحافة المطلة على الساحة الواسعة التي تتوسطها مقابر "**سيلفورد**"، وهناك كمن بين الأشجار دهشا لا يكاد يصدق عينيه أو أذنيه.. لقد كان باب المقبرة مفتوحا، وكان ثمة ثلاثة أشخاص يرتعون أمامه متشابكي الأيدي ويغنون بصوت أجش:

– نم يا حبيبي "**تومي**".. نم يا عزيزي "**تومي**". وكان اثنان من هؤلاء الثلاثة عملاقين نصف عاريين.. ولم يكن الثالث سوى "**تومي كاولر**" في ثيابه الكاملة، ووجهه غير الحليق.

وخيل إلى "**ديك**" أنه في حلم عجيب.. وظل في مكانه لا يتحرك وهو ينظر إلى هؤلاء الثلاثة وهم يرقصون ويغنون بصوت يمزق القلوب حزنا وأسى، وأخيرا جلسوا وراحوا يتبادلون لعبة على هيئة قطار السكك الحديدية.. وفجأة انساب في الجو صوت فرقعة سوط، وقبل أن يعرف "**ديك**" ماذا حدث إذا بـ"**تومي كاولر**" يختفي، وإذا بالدكتور "**ستالليتي**" يظهر أمام العملاقين اللذين بدا الخوف واضحًا على وجهيهما، وإذا به يضحك ويقول وهو يضرب الهواء

بالسوط:

– آه! أهذا أنت يا عزيزي "**بيبو**".. وأنت يا عزيزي "**ساسو**"؟ لقد عثرت عليكما أخيراً.. هيا اتبعاني.

وأخذ الرجل يجري متواثبًا نحو الطرف الآخر من الغابة، والعملاقان يتبعانه. وقبل أن يمضي "**ديك**" في أثرهم لمح "**تومي كاولر**" وهو يظهر فجأة وينتقل في حذر وراء "**ستالليتي**" والعملاقين.

وظل الجميع على هذا النحو بعضهم يتبع بعضًا حتى فوجئ "**ديك**" بما لم يكن يتوقع: فقد رأى "**ستالليتي**" يسرع إلى سيارة مختفية وراء أشجار على طريق وعر يطل على هاوية عميقة، ويجلس في مقعد السائق ويركّب العملاقين وراءه، وينطلق قبل أن يستطيع "**ديك**" أن يصنع شيئًا ولكنه لم ييأس، فأخذ يعدو بكل قوته بينما وثب "**تومي كاولر**" وراءهم في السيارة وتعلق بمؤخرتها.

وأدرك "**ديك**" أن في استطاعته اللحاق بالجميع؛ لشدة وعورة الطريق وبطء السيارة النسبي في الانطلاق.. ولكنه فوجيء مرة أخرى حين رأى "**تومي كاولر**" يقف ثم ينحني على "**ستالليتي**"، وإذا بصيحة هائلة تشق السكون، وإذا بالسيارة تنثني، وتهوي في المنحدر نحو الهوة العميقة.

وأخذ "**ديك**" ينحدر وراء السيارة حتى استقرت على حافة البركة الكائنة في قاع الهاوية، وهناك وجد "**تومي كاولر**" يسرع إليه من جانب السيارة جريحًا باكيًا قائلا:

– آه! السيد "**مارتن**".. أسرع بالله عليك وأنقذهما.. أنقذه هو.. إنني أعترف لك.. لقد قتلت "**ستالليتي**" اللعين بقضيب حديدي.. ولكني لم أكن أتوقع أن تنثني السيارة.. أنقذه.. أنقذه. فقال "**ديك**":

– ومن الذي قتل "**كودي**" ؟

– إنه أخي.. أخي. وحسنًا فعل..

– أخوك؟

– نعم.. أخي "**أدي**" .. إنه هنا تحت السيارة.. إنه المدعو "**بيبو**"، لقد أعطته خالتي الملعونة إلى "**ستالليتي**" ليجري عليه تجاربه.

وعاد "**تومي**" إلى السيارة وأخذ يدور حولها كالمجنون محاولا إنقاذ أخيه.. أما "**ديك**" فقد أسرع إلى قصر المزرعة ليأتي بالنجدة. وقبل أن يبلغ القصر سمع صفارة أحد رجال البوليس، ورأى دخانًا كثيفًا يخيم فوق القصر، ثم إذا بالقصر كله شعلة من اللهب.. ولم يتوان في الانطلاق بأقصى سرعته حتى وصل إلى رجال البوليس الواقفين أمام القصر الملتهب ومعهم "**سنيد**"، وبينهم "**هافلوك**" يتواثب صائحًا:

– الآنسة "**سيبيل**" وأمها!! كيف تقفون هكذا تحملقون كالبلهاء دون أن تحاولوا إنقاذهما؟ أسرع يا سيد "**مارتن**".. أسرع بربك. فوضع "**ديك**" يده على ذراع الرجل، وقال في هدوء:

– لا داعي للقلق.. إن "**سيبيل**" وأمها لم تناما في القصر.. لقد أرسلتهما إلى بيتهما في العاصمة. فحدّق الرجل حوله في دهشة وتمتم:

– لم تناما في القصر؟! ولكن.. وعندئذ قال المفتش "**سنيد**" :

– إن اسمك "**آرثر ايلوود هافلوك**"، وإني كبير المفتشين "**جون سنيد**" من "**اسكتلنديارد**" أقبض عليك بتهمة القتل والشروع فيه، وأحذرك أن كل كلمة ستقولها ستتخذ ضدك في التحقيق.

وحاول "**هافلوك**" أن يقول شيئًا، ولكن حين رأى رجلين من رجال البوليس يمسكان به هوى متهالكًا في شبه إغماء...

- 39 -

وحمل "**هافلوك**" إلى كوخ قريب، وهناك استعاد بعض رشده فقال محتجًّا:

– ما هذه التهمة الباطلة الزائفة التي وجهتموها إليّ؟ إنني.. فقاطعه "**ديك**" قائلا:

– وفر عليك ذلاقة لسانك. فلقد عرفت حقيقة أمرك يوم حصلت على صورة للمدعو "**بيرس سيلفورد**" في مدينة "**الكاب**" ولا شك في أنك خشيت أن يتساءل الناس عن سر غياب "**بيرس سيلفورد**" فأرسلتني في هذه المهمة لتظهر للجميع أنك أيضًا شديد القلق عليه.. ولقد اتفقت أنت و"**كودي**" على إرسال "**تومي كاولر**" بالطائرة إلى "**نيويورك**" قبل وصولي، فاتخذ لنفسه اسم "**بيرس سيلفورد**" وراح ينتقل من بلد إلى آخر بهذا الاسم وأنا أنطلق وراءه كالمغفل، ولولا أنني حصلت على صورة التقطها أحد المصورين له في حفلة الحاكم الجديد لما خطر لي أن المزعوم "**سيلفورد**" لم يكن غير "**تومي كاولر**" سائق "**برترام كودي**".. ومنذ ذلك الحين وأنا منهمك لمعرفة مصير "**بيرس سيلفورد**" الحقيقي. فقال "**هافلوك**" يائسًا:

– إنني أعترف أنني كنت غبيًّا في تصرفاتي مع "**بيرس سيلفورد**"، ولكنه كان ضعيف العقل والجسم فعهدت به إلى دكتور...

– لقد سلمته إلى دكتور "**ستالليتي**" ليجري عليه تجاربه.. أليس كذلك؟ ولقد سلمت إليه أيضًا "**أدي كاولر**" شقيق "**تومي**".. لقد علمت حالا هذه الحقيقة، ولقد عرف "**تومي**" شقيقه في الليلة التي أنقذ فيها "**سيبيل**".. فحين تربص له استطاع أن يتعرف عليه قبل أن يقتل أحدهما الآخر، ولا شك في أنه ذكر له كلمة من الكلمات التي كان الاثنان يتبادلانها أثناء طفولتهما، فأثارت في نفس العملاق ذكريات طفولته.. ولهذه الجريمة وحدها سوف تذهب يا

"**هافلوك**" إلى المشنقة.. فضلا عن تدبيرك مقتل "**كودي**"، وإحراقك قصر "**سيلفورد**" لتقتل بالنار فتاة وأمها.. لقد رأيت البراميل الثلاثة التي أرسلت بها إلى القصر زاعمًا أنها تحوي شرابًا بينما هي لا تحوي سوى وقود سريع الاشتعال. فقال "**هافلوك**" بوجه شاحب:

– ولكن.. أين الدليل على هذا كله؟ وبحركة غير إرادية. مد يده إلى صدره، ثم سقط مغشيًا عليه.

- 40 -

ومد "**ديك**" يده إلى صدر الرجل، وتناول مفتاحين آخرين من سلسلة فضية وقال:

– لقد اجتمع لنا الآن خمسة مفاتيح، وأغلب ظني أن المفتاحين الباقيين مع "**ستالليتي**". وبعد ساعة أقبل أحد الرجال بالمفتاحين قائلا:

– لم نجد أثرًا لـ"**تومي كاولر**".. أما "**ستالليتي**" والعملاقان، فقد وجدناهم مقتولين تحت أنقاض السيارة.. وهذان هما المفتاحان.. لقد وجدناهما في حافظة نقود "**ستالليتي**".. وذهب "**ديك**" والمفتش وثلاثة رجال إلى المقبرة، وهناك رأوا لأول مرة فجوة واسعة في جانب الردهة الوسطى. فأشار "**ديك**" إليها وقال:

– هذا هو مدخل الممر السري المؤدي إلى المدفأة في تلك الغرفة.. الغرفة التي كان يحتفظ فيها "**سيلفورد**" المسكين بأدوات لعبه أيام طفولته.. ولعلها المكان الوحيد الذي يتردد عليه المسكين.. وأظن أن الثلاثة كانوا مختبئين هنا بعد فرار "**ستالليتي**". فقال المفتش:

– ولكن لماذا كان "**سيلفورد**" يزور تلك الغرفة؟

– كان المخلوق البائس يريد أن يأخذ أدوات اللعب والدمى.. إنه كان نصف مجنون.. لقد ظل عقله محتفظًا بطفولته على الرغم من نمو جسمه..

ودس "**ديك**" بعد ذلك المفاتيح السبعة في الأقفال السبعة، ثم أدارها واحداً بعد واحد وإذ بالباب الضخم يفتح أخيراً، وإذا بهم لا يجدون في الغرفة شيئًا قط سوى الصندوق الحجري.. فتعاون الجميع وحملوه إلى الكوخ القريب من القصر المحترق.. وكان "**هافلوك**" قد نقل إلى سجن "**هورشام**"، وكان رجال البوليس المحلي يجرون التحقيق في حادثة السيارة المحطمة.

وبعد جهود غير قليلة فتح غطاء الصندوق، فإذا بداخله كراسة من كراسات المدارس كتبت صفحاتها بخط "**هربرت برترام**": "**كودي**". فقال "**سنيد**" لـ"**ديك**":

– اقرأ ما ورد فيها. فتراخى "**ديك**" في جلسته، وبدأ يقرأ قصة الأقفال السبعة العجيبة.

- 41 -

هذه الاعترافات مكتوبة بخط "**هربرت برترام**" المعروف فيما بعد باسم "**برترام كودي**" ولقد وافق عليها أصحاب التوقيعات الواردة في نهايتها.. ذلك أننا اتفقنا جميعًا في عام 1901 على أن نذكر هذه الاعترافات، وأن نوقع عليها حتى تحول بين أحدنا وخيانة الآخرين ليصبح من ثم شاهد الملك.

كان "**جريجوري سيلفورد**" الأمير السابق قد مات قبل هذه الاعترافات، وكان رجلا شاذ التصرفات.. ولقد جعله شذوذه يحول الجزء الأكبر من أمواله إلى سبائك ذهبية يضعها في هذه الغرفة ذات الأقفال السبعة التي صنع أقفالها خصيصًا في "**إيطاليا**".. وكان يبغي من ذلك أن يحتفظ بالجزء الأكبر من ثروته ليحصل عليها ابنه "**بيرس**" حين يبلغ الخامسة والعشرين من عمره. وكان ينوي أن يسلم المفاتيح السبعة للأوصياء المكلفين برعاية ابنه والنظر في مصالحه، وعلى

الرغم من شذوذ هذا التصرف ونشوزه عن القوانين المعروفة، فقد أصر الأمير الراحل عليه ووافقه على ذلك محاميه الخاص "**آرثر هافلوك**" وطبيبه الذي كان يحبه "**أنطونيو ستالليتي**" .

ولكن حدث أن بدد "**هافلوك**" مبلغًا كبيرًا من عهدته، فلما علم الأمير الراحل بالأمر، أصر على تسليم "**هافلوك**" للعدالة، ولكن قبل أن يتخذ هذه الخطوة أصيب بالشلل، وظل في غيبوبته حتى قضى نحبه.. ولقد اقترح "**أنطونيو ستالليتي**" على "**هافلوك**" أن يكتما أمره وأن يظل كما كان أي الوكيل الوحيد لإدارة أملاك "**سيلفورد**" وللعناية بالطفل كما ورد في وصية الأمير الراحل قبل أن يحاول تغييرها.

وفي نظير هذا الأمر، اتفق الاثنان على أن يدخلا معهما الممرضة "**مارتا ديكنز**" التي كانت تعلم بما ارتكبه "**هافلوك**" وكذلك البستاني "**سيلفا**" الذي كان حاضرًا المشادة العنيفة التي وقعت بين الأمير والمحامي. واتفق هؤلاء الأربعة- قبل أن يشركوني معهم- على الاستفادة من أملاك "**سيلفورد**" إلى أقصى حد.. وكان على "**هافلوك**" أن يسوي المسألة مع الطفل الوارث عندما يبلغ سن الرشد ويطالب بأملاكه.

ولما كان الطفل ضعيف الجسم والعقل معا، فقد خشي "**هافلوك**" أن تتدخل السلطات الحكومية وتعين هيئة وصاية رسمية لإدارة أملاكه الواسعة، ومن ثم اقترح "**ستالليتي**" أن يعهدوا بالطفل إليّ أنا- كاتب هذه السطور- وذلك؛ لأني كنت أعرف "**ستالليتي**" شخصيًّا، وكنت قد افتتحت معه مدرسة للتنويم المغناطيسي انتهى أمرها بإلقائي في السجن، ولما أفرج عني غيرت اسمي وافتتحت مدرسة خاصة لأبناء الأغنياء. وحين جاءوا بالطفل إليّ سررت به جدًّا؛ لما سيدر عليّ من مال، ولكني لم ألبث أن فوجئت بغبائه الشديد، وضعف

عقله الذي لم يسمح له بتلقي أي نوع من أنواع التعليم.

وأخيراً لم أجد مندوحة من أن أعلن فشلي للسيد "**هافلوك**"، وعندئذ استدعاني لعقد اجتماع مع دكتور "**ستالليتي**" للنظر في أمر الطفل الأبله.. وفي هذا الاجتماع شرح "**أنطونيو ستالليتي**" نظريته في التربية المثالية، وهي تتلخص في أن الواجب على العلماء والمفكرين أن يتعاونوا لخلق عالم جديد قوامه طائفتان:

الأولى: حكام من رجال الفكر والعبقرية والعقلية، والثانية: محكومون من عمال لهم أجساد نموذجية القوة، وعقول ضعيفة تخضع لما يملى عليها بغير تذمر أو شكوى أو إدراك. ولقد قال في أثناء حديثه إنه يريد عالما يشبه خلية النحل في نظامها وإحكامها وجمال إنتاجها وتكوينها.

ثم ذكر أخيراً أن في استطاعته تطبيق نظريته على الطفل "**بيرس**" فيخلق منه إنساناً نموذجي القوة، ضعيف الشخصية لا يعترض قط على ما يؤمر به. أما إذا لم نوافق على اقتراحه فسيكون موقفنا مهدداً إذا ازداد ضعف الطفل وانتهى أمره إلى الموت.. ولقد وافقت على هذا الاقتراح فوراً، أما السيد "**هافلوك**" فقد تردد طويلا ولكنه وافق أخيراً على أن يعهد بالطفل إلى "**ستالليتي**" مدة ثلاثة أشهر ثم يقرر بعدها قراره النهائي.

ولما علمت "**مارتا ديكنز**" بما انتهى به الأمر، وافقت على أن تقدم واحداً من ابني أختها لتجري عليه التجربة مع "**بيرس**".. ولقد وقع اختيارها على "**أدي كاولر**" شقيق "**تومي**" التوءم. وبدأ "**ستالليتي**" تجاربه في بيته الواقع بأملاك "**سيلفورد**" بناحية "**جاللوز**". فلما ظهرت بوادر نجاحه بعد ثلاثة أشهر. وافق "**هافلوك**" نهائيًا على أن يبقى الطفل تحت رعايته دائماً.. أما أنا فقد رفضت أن أتعاون معهم حتى نكتب تقريراً بكل شيء ثم نوقعه جميعًا ونحفظه في مكان أمين لا يصل إليه أحدنا إلا في حضور الآخرين، وذلك لكي نأمن جميعًا من خيانة أحدنا ليصبح شاهد

الملك وينجو بنفسه بعد أن يلقي بالباقين في أعماق السجون..

وبعد مناقشات عنيفة طويلة، وافقنا نحن الخمسة على هذا الإجراء، ولكننا عبثا حاولنا أن نجد المكان الأمين الذي لا يستطيع أحدنا أن يصل إليه إلا بمعرفة الآخرين ولن أذكر تفاصيل الاقتراحات التي توالت حتى خطرت على بال "**هافلوك**" الغرفة ذات الأقفال السبعة التي كان يحتفظ بمفاتيحها معه وذلك قبل أن ينفذ الأمير الراحل إرادته الشاذة، واتفقنا أخيراً وكتبنا هذا الاعتراف ووقعنا عليه نحن الخمسة، ووضعناه في الصندوق الحجري وأغلقنا الباب بالأقفال السبعة ثم احتفظ "**هافلوك**" باثنين و"**ستاليتي**" بمثلهما، وأخذ "**سيلفا**" واحداً وكذلك "**مارتا**" وأنا.. ولقد تزوجت "**مارتا**" بعد ذلك بقليل؛ حتى أضمن ولاءها لنا إلى النهاية، وكان في نية "**هافلوك**" أن يعلن للناس حين يبلغ الطفل سن الرشد أنه يتنقل في بلاد العالم خارج وطنه.

«نحن الموقعين أدناه. نعترف بكل ما ورد في هذا التقرير».

ثم تلا ذلك توقيع الأسماء الخمسة.

الفصل الأخير

وقال "**ديك**" للمفتش وهما في طريق العودة إلى العاصمة:

– ومما زاد شكوكي في الأمر أني لاحظت تشابه خط "**هافلوك**" مع خط الخطابات التي زعم أنه يتلقاها من "**بيرس**".. بل لقد كان المداد الأخضر واحداً.. بل إن محبرة ذلك المداد لاتزال موضوعة على المكتب.. أما "**تومي كاولر**" فإنني أنوي ألا أتقدم للشهادة ضده، حسب المسكين ما عاناه حين رأى شقيقه التوءم في هذه الحالة البائسة.. والواقع أن أي إنسان في مكانه ما كان

ليتردد في تمزيق أوصال "**ستالليتي**" الشيطان.. فقال المفتش وهو يتحول بالموضوع إلى ناحية مشرقة:

– أظن أن فتاتك سترث أملاكًا عريضة، وأموالا طائلة. فقطب "**ديك**" جبينه ومسح على رأسه بيده وقال:

– أولا: إنها ليست فتاتي.. حتى الآن لم أصارحها بحبي، ولست أدري كيف أفعل بعد أن تطورت الأمور إلى هذا الحد.. إن حب فتاة عاملة يختلف كل الاختلاف عن حب فتاة من أصحاب الملايين. فقال المفتش:

– ولكنك الآن ثري، ولن يستطيع أحد أن يقول إنك تزوجتها من أجل مالها. فأومأ الشاب برأسه مفكرًا ثم أطرق صامتًا.. وبعد ساعة ونصف من وصوله إلى العاصمة غادر "**ديك**" مسكنه وهو أشد ما يكون أناقة، وحسن هندام.. لقد كان في طريقه إلى مسكن "**سيبيل**"، وكان يدير في عقله الألفاظ والعبارات التي سيقولها لها حين يصارحها بحبه.. وكان على الرغم مما بدا منها نحوه، لايزال قلقًا يخشى أن يكون شعور الفتاة نحوه وقتيًّا..

ولما دق جرس الباب، إذا بـ"**سيبيل**" تفتحه له في لهفة، وإذا بها تضمه إليها في عناق طويل، وتغمر وجهه وشفتيه بالقبلات اللاهثة.. بينما تقول في ابتهاج:

– شكرًا لله أن جئت سالما.. إنني لم أنم طوال الليل.. خبرني.. هل كل ما ورد في صحف الضحى صحيح.. يخيل إليّ أن الأمر كله خيال.. فابتسم لها وقال:

– إذا كان كل شيء خيالا فإن حبي لك هو الحقيقة الثابتة.. والتقت شفاههما مرة أخرى في قبلة طويلة حالمة.

تمّت بعون الله